الجمهوريـــــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي بن مهيدي / أم البواقي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم : العلوم الإنسانية

عنوان المذكرة :

الطرق الصوفية والمسألة الوطنية في تونس 1881-1956

مذكرة تخرج مكملة لنيل شهادة الماستر

تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطالبـــة :

- عليـــقي منيرة

إشراف الأستاذة :

- سالـمي سلاف

الأستاذ	الرتبة	الصفة
خليل موسى	أستاذ مساعد أ	رئيس اللجنة
سالمي سلاف	أستاذة مساعدة أ	مشرفا و مقررا
بن حيدة يوسف	أستاذ محاضر أ	مناقشا

السنة الجامعية / 2021م - 2022م

بسم الله الرحمن الرحیم

شكر وعرفان

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

والحمد لله أولا وآخرا .

الحمد لله الذي هدانا لنور العلم والإيمان والبر والإحسان والشكر والامتنان واعترافا منا بالجميل وتقديرا لحسن الصنيع أتقدم بأسمى عبارات الشكر إلى الأستاذة الفاضلة : ساطي سلاف على إشرافها على هذا العمل والتي لم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها ، فجزاها الله كل خير .

كما أتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان لكل أساتذة قسم التاريخ و إلى أساتذتنا أعضاء لجنة المناقشة الذين تقبلوا بصدر رحب تقييم هذا العمل .

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى :

من كانا سبب في وجودي في هذه الحياة والدّنيا الكريمين .

إخوتي وأخواتي .

زوجي الفاضل وأبنائي الأعزاء (إنتصار ، إيناس ، عبد السلام

ومحمد علي) .

وكل طالب للعلم .

عليفي منيرة

قائمة المختصرات :

- **مج : المجلد**
- **ط : الطبعة**
- **ج : الجزء**
- **ص : الصفحة**
- **تح : تحقيق**
- **د ت : دون تاريخ**
- **د ط : دون طبعة**
- **تر : ترجمة**
- **تق : تقديم**
- **م : ميلادي**
- **هـ : هجري**
- **ع : عدد**
- **تع : تعريب**
- **تن : تنسيق**

مُقَدِّمَة

عرفت بلاد المغرب العربي حركة استعمارية أوروبية بدأت باحتلال فرنسا للجزائر منذ 1830، ثم توسعت بالمنطقة لتشمل تونس والمغرب وذلك طمعا في تأسيس إمبراطورية فرنسية تسيطر على شمال إفريقيا، حيث فرضت الحماية الفرنسية على تونس بعد معاهدة الحماية في 1881/05/12، إذ تباينت المواقف الداخلية في تونس من الحماية الفرنسية التي فرضت على البلاد التونسية، وقد كثرت الكتابات في مواقف الأحزاب السياسية والمؤسسات الدينية والثقافية المختلفة من الحماية والسياسة الفرنسية في تونس، إلا أن موقف الطرق الصوفية من المسألة الوطنية مازال يكتنفه الكثير من الغموض نتيجة قلة الدراسات في هذا الموضوع، لذا فإن هذه الدراسة ستوضح موقف الطرق الصوفية في المسألة الوطنية في تونس منذ 1881م إلى 1956م خاصة وأن السلطات الاستعمارية قد عملت على إخضاعها بمختلف وسائل الترهيب و الترغيب .

أهمية الدراسة : تتجلى أهمية هذه الدراسة في كونها تنير جانبا مهما من جوانب المؤسسات الدينية في تونس ألا وهي الطرق الصوفية ومواقفها من كل ما يخص المسألة الوطنية، انطلاقا من تحديد نوع السياسة الفرنسية التي انتهجتها السلطات الاستعمارية مع هذه الطرق بالبلاد التونسية وأثر ذلك على مكانتها بين أتباعها، وصولا إلى مصير هذه الطرق خاصة بعد ظهور الحركة الوطنية ونشاطها، وتوضيح مدى مساهمة هذه الطرق في القضايا الوطنية في تونس خلال الفترة الاستعمارية .

إن هذه الدراسة جاءت لتبرز مدى توافق توجهات الطرق الصوفية في البلاد التونسية مع مطالب وطموحات المجتمع التونسي من خلال نفوذها وسلطتها الدينية والاجتماعية .

أسباب اختيار موضوع الدراسة : يعود اختياري للموضوع المسمى"الطرق الصوفية والمسألة الوطنية في تونس (1881م-1956م)" يعود إلى عدة أسباب منها :

الأسباب الذاتية :

- رغبتي في فهم ظاهرة الطرق الصوفية في بلاد المغرب العربي عامة وفي تونس خاصة وكشف بعض جوانبها الغامضة، خاصة فيما يتعلق بموقفها من التواجد الفرنسي وسياسته بالبلاد .
- الرغبة في إثراء مكتبة الجامعة بهذا الموضوع الهام .

الأسباب الموضوعية :

- صلتي المباشرة بتخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر جعلني اختار هذا الموضوع.
- قلة الدراسات التي عالجت هذا الموضوع خاصة في الجامعات الجزائرية إذ تكثر الدراسات حول الطرق الصوفية في الجزائر والمغرب في حين تقل في تونس .

إشكالية الدراسة : تتركز هذه الدراسة في الإجابة على التساؤل الرئيسي المتمثل في :

ما مدى مساهمة الطرق الصوفية في تونس في دعم المسألة الوطنية التونسية منذ فرض الحماية عليها وصولا إلى الاستقلالل ؟

وتتدرج تحت هذا التساؤل مجموعة من الأسئلة الفرعية منها :

- ما هو مفهوم التصوف، وكيف انتشر في المغرب الإسلامي عموما وتونس خصوصا ؟
- ما هي أشهر وأبرز الطرق الصوفية في تونس ؟
- فكيف واجهت الطرق الصوفية الحماية الفرنسية على تونس ؟
- ما طبيعة السياسة الفرنسية المنتهجة مع الطرق الصوفية في تونس وكيف أثر ذلك على مكانتها؟
- هل نجحت الطرق الصوفية في تونس في دعم قضايا المسألة الوطنية ؟

حدود الدراسة : يمتد المجال الزمني لهذه الدراسة من عام 1881م وهو تاريخ فرض الحماية الفرنسية على تونس وصولا إلى سنة 1956م، والتي تمثل تاريخ استقلال تونس وخروج المحتل من البلاد حيث شهدت هذه الفترة العديد من الأحداث والوقائع التي تخص تونس عموما ودراستنا بصفة خاصة أما مكانيا فهذه الدراسة تشمل البلاد التونسية عامة وكل المناطق التي انتشرت بها الطرق الصوفية على سبيل المثال الكاف، تالة والقصرين، توزر، قفصة، سليانة، نفطة وغيرها .

المنهج المتبع في الدراسة :

اعتمدت في دراستي على مناهج تخدم موضوعي وهي : المنهج التاريخي الوصفي، حيث استعنا به في رصد الأحداث التاريخية وعرضها وفق ترتيب زمني كرونولوجي للوصول إلى الحقائق، إضافة المنهج التاريخي التحليلي القائم على الاستنتاج وذلك لاستخلاص مواقف الطرق الصوفية من المسألة الوطنية من خلال تحليل الأحداث التي جرت واستنتاج المواقف المختلفة .

خطة الدراسة : قسمت العمل إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة حيث أن :

الفصل الأول : جاء في شكل تعاريف لضبط المفاهيم الخاصة بالموضوع، من خلال تحديد مفهوم التصوف، الطريقة والزاوية، وشرح لكيفية انتشار الطرق الصوفية في بلاد المغرب الإسلامي وصولا إلى تونس، ثم التعرف على أهم الطرق الصوفية بالبلاد التونسية من طرق أصلية وأخرى فرعية وخصائصها ودعائمها المادية والبشرية .

الفصل الثاني : خُصِّصَ للحديث عن السياسة الاستعمارية المتبعة مع الطرق الصوفية وأثرها على مكانتها وقد قسم إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول كان الحديث فيه عن فرض الحماية الفرنسية على تونس وموقف الطرق الصوفية من ذلك، أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه شرح لأشكال السياسة التي اتبعتها السلطات الفرنسية مع الطرق الصوفية، أما المبحث الثالث فقد خصص لتوضيح أثر السياسة الفرنسية على مكانة ونفوذ الطرق الصوفية.

الفصل الثالث : جاء بعنوان الطرق الصوفية والقضايا الوطنية بتونس، حيث قمت بتقسيم هذا الفصل إلى ثلاث مباحث، ففي المبحث الأول تطرقت إلى موقف الطرق الصوفية من بعض الأحداث في تونس مثل أحداث الجلاز (الزلاج)1911م، وأحداث مقاطعة الترامواي 1912م وأحداث انتفاضة 9 أفريل 1938م، أما المبحث الثاني فشرحت فيه موقف الطرق الصوفية من ظهور الحركة الوطنية وبداية الوعي السياسي في مطلع القرن 20، أما المبحث الثالث فقد تناولت فيه الحديث عن مصير ومآل الطرق الصوفية بعد 1930م.

وقد أنهيت هذه الدراسة بخاتمة تضمنت جملة من الاستنتاجات التي تم التوصل إليها في دراستنا.

المصادر والمراجع المعتمدة : استقيت معلومات هذه الدراسة من مجموعة هامة من المصادر والمراجع و الدراسات السابقة منها :

- **أحمد دركوش : مواقف الطرق الصوفية من الاستعمار في الجزائر وتونس (1830-1914) القادرية والتيجانية نموذجا . رسالة ماجستير** وقد استعنت بهذه الدراسة في تحديد موقف الطرق الصوفية من الاستعمار في تونس من خلال محتوى الفصل الثالث .

- **قارة فطيمة : موقف الطرق الصوفية التونسية من الحماية الفرنسية (1881-1939) الطريقة القادرية والتيجانية، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ** ، حيث اعتمدت على هذه الدراسة في تحديد السياسة الفرنسية اتجاه الطرق الصوفية وموقف هذه الطرق من الحماية الفرنسية على تونس .

إضافة إلى عدد من المراجع التي أثرت هذه الدراسة نذكر منها:

- صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها حيث استفدت من هذا المرجع في الفصل الأول حول مفاهيم التصوف والزاوية والطريقة وأهم الطرق الصوفية.
- العجيلي التليلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي في البلاد التونسية 1881-1939.

فقد استفدت كثيرا من هذا الكتاب في الفصلين الثاني والثالث في معرفة مواقف الطرق الصوفية من الحماية وأشكال السياسة الفرنسية مع الطرق الصوفية بتونس، إذ يعد هذا الكتاب من الكتب والدراسات القليلة التي اهتمت بموضوع الطرق الصوفية في تونس خلال الفترة الاستعمارية و الذي اعتمد على مخطوطات ووثائق أرشيفية هامة .

- لطيفة الأخضر الغول، الإسلام الطرقي والتحولات الاجتماعية والسياسية بتونس في العهد الاستعماري 1881-1934م، وكان لهذا المرجع الدور الهام في معرفة الطرق الدينية في تونس وموقفها من التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وأثر ذلك عليها .
- محمد اليهلي النيال ، الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي حيث اعتمدت عليه في التعريف ببعض الطرق الصوفية و نشأتها.
- وهناك مصادر ومراجع أخرى لا تقل أهمية ، استفدت منها وقد تم ذكرها ضمن قائمة البيبلوغرافيا .

الصعوبات والعراقيل : لا يخلو أي بحث علمي من الصعوبات التي تواجه الباحث وترفع تحدياته ونحن كذلك قد اعترضتنا عدة عقبات أهمها :

تشعب موضوع التصوف وكثرة الطرق الصوفية وقلة الكتابات التاريخية التي تعالج موضوع التصوف من الجانب السياسي في تونس نظرا لحساسيته فمعظم ما كتب عالج موضوع التصوف من الجانب الديني والروحي والذي بدوره يحتاج إلى تعمق كبير لفهم مختلف جوانبه.

عدم السماح للطلبة الجزائريين بالدخول إلى موقع دار المنظومة الذي يحتوي على مادة علمية هامة حول الموضوع رغم الاتصالات المتكررة بمسيري هذا الموقع الذين عجزوا عن إفادتي بها، لولا بعض الباحثين العراقيين الذين لم يبخلوا عليا بالمساعدة أشكرهم على ذلك .

ومهما يكن من أمر فإنني بعون الله حاولت إنجاز هذا العمل المتواضع والذي ورغم المحاولات فإن الكثير من ثناياه يحتاج إلى المزيد من البحث والتقصي لإتمام ما نقص منه إما سهوا أو عجزا فعملي هذا ما هو إلاّ محاولة صدرت عن جهد متواضع وللجنة الموقرة الحق في تسديد الكثير من أخطائه بتوجيهاتها وتصويباتها .

التصوف والطرق الصوفية في تونس

تمهيد :

إن مختلف الدراسات التاريخية حول الطرق الصوفية اقتصرت على الجانب الروحي والديني ولم تسهب في دراستها على الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، لاسيما في البلاد التونسية على وجه الخصوص، فالتصوف من المواضيع الهامة التي وجدت اهتماما بين العلماء والباحثين، واختلفوا في حقيقته وأصوله وفروعه، لذا ستحاول هذه الدراسة في هذا الفصل فهم حقيقة التصوف من خلال تقسيم الفصل الأول إلى خمس مباحث :

المبحث الأول : مفهوم التصوف ، الطريقة والزاوية .

المبحث الثاني : عوامل و وظاهر انتشار التصوف في المغرب الإسلامي .

المبحث الثالث : نشأة الطرق الصوفية في تونس وانتشارها،

المبحث الرابع : خصائص و دعائم الطرق الصوفية .

المبحث الخامس : الدور الاجتماعي للطرق الصوفية .

المبحث الأول: مفهوم التصوف ، الطريقة والزاوية

1- مفهوم التصوف :

1-1- التصوف لغة : هوكلمة مشتقة من لبسهم الصوف[1]. ويقال أنها مشتقة من صفاء القلوب، وقيل أيضا أنها مشتقة من الصفة (أو صفة المسجد) وهو مكان في مؤخرة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، كان يجلس إليه متعبدون زهاد من فقراء المسلمين[2]، ويرى آخرون أن التصوف مصطلح نسب إلى أولئك الذين يجلسون في الصف الأول في المسجد أثناء الصلاة، وهناك من يرى أن التصوف نسبة إلى "صفوة" أو"بني صفوة" وهم قوم كانوا في الجاهلية يخدمون الكعبة ويجهزون الحجيج[3].

1-2- التصوف اصطلاحا : يعد التصوف من أهم المظاهر التي اصطبغت بها الحياة الروحية الإسلامية، فهو بحق مرآة عاكسة لها حيث يخضع فيها الصوفي نفسه لقواعد وضوابط سلوكية ومبادئ في الأخلاق ومناهج في تذوق الحياة[4].

فهناك اختلاف كبير بين الباحثين في مفهوم التصوف، فقد وضعوا له الكثير من التعريفات ومنهم الدكتور طلعت غنام في كتابه "أضواء على التصوف" إذ يقول" يرى المسلمون المقصود بالتصوف في عمومه هو السير في طريق الزهد والتجرد عن زينة الحياة الدنيا وأخذ النفس بأسلوب من التقشف وأنواع العبادة والجوع والسهر في الصلاة أو تلاوة الأوراد، حتى يضعف في الإنسان الجانب الجسدي و يقوى فيه الجانب النفسي أو الروحي" ، فالتصوف يعني التخلي عن الدنيا بكل ما فيها عن طريق مجاهدة النفس وإضعاف الجسد إلى حد التلف والابتعاد عن الناس[5].

---

[1] عبد الله بن دجين السهلي، **الطرق الصوفية نشأتها وعائدها وآثارها**، ط1، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، 2005، ص10 .

[2] نور الدين بلعربي، **الطرق الصوفية وأثرها في العلاقات الجزائرية المغربية 1800-1870**، رسالة دكتوراه، التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة بوزريعة الجزائر، 2017-2018 ، ص25 .

[3] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، **أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية**، المطبعة الفنية، الجزائر، 1990، ص10.

[4] كمال بوغديري، **الطرق الصوفية في الجزائر الطريقة التيجانية أنموذجا**، رسالة دكتوراه، علم الاجتماع، جامعة سطيف ، 2014-2015 ، ص152

[5] برهان زري ، **التصوف في تاريخ الفكر الإسلامي** ، ط1، سوريا، 2016 ، ص45 .

كما أن أغلب المصادر تتفق على أن التصوف هو التقرب إلى الله بعبادته والابتعاد عن ملذات الدنيا، وهو بذلك الانتهاء بالنفس والأخلاق الإنسانية إلى درجة الفناء في الحضور الإلهي وهو منهج سلوكي يعتمد على التقشف والتحلي بالفضائل لتزكية النفس والارتقاء بالروح[1] .

ويقول"ابن خلدون" : "التصوف هو العكوف على العبادة والانقطاع لله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلف في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف"[2].

وهذا أحد المتصوفين في القرن الماضي، وهو الشيخ محمد الموسوم (الميسوم)، قد عرّف التصوف بأنه القيام بالواجبات الشرعية من صلاة وصوم وحج ومعرفة الله تعالى وشكره وحمده والتضرع إليه في كل وقت، وهو ترديد الشهادة (لا إله إلا الله) كلما أمكن ذلك، فمن واجبات المتصوف عنده الابتعاد عن مغريات الحياة الدنيا التي يعيش فيها، وأن يضع نصب عينيه دائما الحياة الأخرى ويستعد لها، كما عليه أن يتخلى عن الحسد والفخر بالنفس وأن لا يكلف نفسه ما لا طاقة له لها وأن لا يلقي بنفسه إلى الهلاك[3] .

2- مفهوم الطريقة :

2-1- الطريقة لغة : الطريقة في اللغة تطلق على السيرة والمذهب والحال، فقد ورد في المعجم الوسيط لفظ الطريقة وتعني الممر الواسع الممتد والطريق مسلك طائفة من المتصوفة، ويعرفها الصوفية بأنها "السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى، من قطع المنازل والترقي في المقامات"[4].

---

[1] زهرة مسعودي، **الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا**، مذكرة ماجستير، التاريخ الإفريقي الحديث والعاصر، جامعة أدرار، 2009-2010 ، ص10.

[2] ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، ط2 ، دار صادر، بيروت، 2005، ص357 .

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج4،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص09.

[4] عبد الله بن دجين السهلي، مرجع سابق، ص09 .

وتعني أيضا المنهج أو السبيل وهي نهج القوم الذي عليه سلوكهم وسيرهم إلى حضرة الله، أهلها مطالبون بإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في أقواله العبادية كأقواله في الصباح والمساء وعند النوم وعند اليقظة وعند الأكل والشرب وعند دخوله وعند خروجه في أقواله العادية[1].

وقد وردت كلمة الطريقة في القرآن الكريم لقوله تعالى : ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾[2] .

2-2- الطريقة اصطلاحا

يقول أحمد الغزالي إن طريق الصوفية عبارة عن تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها، والإقبال بِكُنْهِ الهمة على الله تعالى، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده المتكفل له بتنويره بأنوار العلم، وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانب السالك وتصفيته وجلاء ثم استعداد وانتظار[3].

ويذكر محمد بن عبد الرحمان بن حسن صاحب كتاب "الفتوحات الإلهية في نصرة التصوف الحق الخالي من الشوائب البدعية"، "أن الطريقة هي الأسلوب التربوي الذي يتبعه الشيخ في تربية المريدين وهم طلاب الحق"، ثم أخذت كلمة الطريقة تأخذ معاني جديدة مع متأخري الصوفية، فهي عندهم تطلق على مجموعة من أفراد الصوفية ينتسبون إلى شيخ معين ويخضعون لنظام دقيق السلوك الروحي ويحيون حياة جماعية في الزوايا والربط، أو يجتمعون جماعات دورية في مناسبات معينة ويعقدون مجالس العلم والذكر بانتظام[4].

---

[1]محمد مكحلي، **ثورات رجال الزوايا والطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني 1827-1907م**، دار أفاق كوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص 67 .

[2]سورة الجن، الآية 16 .

[3]عبد الله زروقي ، **الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية بمنطقة توات دراسة تاريخية وأدبية " نماذج شعرية من ديوان سيدي عبد الكريم بن محمد البلبالي 1288 هـ-1960م"**، رسالة دكتوراه، أدب عربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2016-2017، ص41 .

[4]مرجع نفسه، ص ص 41-42 .

3- مفهوم الزاوية

3-1- الزاوية لغة : الزاوية من زوى الشيء ويزويه و زيا وزويا فانزوى، زويت الشيء جمعته ويعني كذلك القرب[1].

والزوايا جمع مفردها زاوية وهي مشتقة من الفعل انزوى بمعنى اتخذ ركنا، كما أنها مأخوذة من الفعل "زوى" و "أزوى" بمعنى ابتعد وانعزل كما في كتب اللغة سميت كذلك لان الذين فكروا في بنائها أول مرة هم من المتصوفة والمرابطين، واختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلبا للهدوء والسكون الذين يساعدان على التأمل والرياضة الروحية ويناسبان جو الذكر والعبادة وهي من الوظائف الإسلامية التي من أجلها وجدت[2]، ولعل هذا ما يفسر أغلب الزوايا في البراري والجهات المهجورة بعيدا عن العمار[3].

والزاوية في الأصل ركن البناء وقد كانت تطلق في بادئ الأمر على صومعة الراهب المسيحي ثم أطلقت على المسجد الصغير أو على المصلى، ولا يزال للكلمة هذا المعنى عند المسلمين في المشرق[4] ، أما الزاوية في شمال إفريقيا فهي أكثر شمولا حيث تطلق على البناء أو طائفة من الأبنية ذات الطابع الديني وهي تشبه الدير أو المدرسة والزاوية من الفعل زوى أي جمع لأن فيها تجتمع الصفوف ويجتمع الفقراء وطلبة العلم ويجمع فيها المال بطرق مشروعة قصد تمويلها وتسيير نظامها[5] .

---

[1] عبد الله زروقي، مرجع سابق ، ص41 .

[2] صلاح مؤيد العقبي ، **الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر تاريخها ونشاطها**،دار البراق، بيروت، لبنان، 2002، ص301.

[3] الطيب العماري ، **الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر، التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي**، دراسة أنثروبولوجية، مجلة الباحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع15، جامعة ورقلة، 2014، ص 124 .

[4] أحمد دركوش ، **مواقف الطرق الصوفية من الاستعمار في الجزائر وتونس (1830-1914) القادرية والتيجانية نموذجا** ، مذكرة ماجستير، تاريخ معاصر، جامعة الجزائر2، 2010-2011، ص 14 .

[5] مرجع نفسه ص 14 .

3-2-الزاوية اصطلاحا : جاء في المعجم الوسيط : الزاوية : المسجد غير جامع ليس فيه منبر والزاوية مأوى للمتصوفين والفقراء[1]، وذكر محمد أبو الفضل إبراهيم حينما حقق كتاب (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة) لجلال الدين الأسيوطي أن "الزاوية معاهد دينية للرجال والنساء، أنشأت لإيواء المنقطعين والزهاد والعباد (...)، وجعلت لتخلي الصوفية فيها العبادة"[2].

فالزوايا أنشئت بهدف إيواء الفقراء والمتصوفين، لكنها استغلت في التعليم أيضا وإيواء التلاميذ الذين جاؤوا لطلب العلم، وقد أخذت الزاوية في شمال إفريقيا من المعاني ما يطلق على بناء ديني شبيه بمؤسسة تعليمية تحتوي في الغالب قبة وغرفة للصلاة وضريح لولي صالح وعرفت لتحفيظ القرآن واستقبال الزائرين وتعليم العلوم العربية والإسلامية .

المبحث الثاني: انتشار التصوف في المغرب الإسلامي

إن بلاد المغرب الإسلامي كبقية أقطار العالم الإسلامي عرفت انتشارا لظاهرة التصوف ولا يختلف اثنان حول الدور الهام الذي قامت به أقطار المغرب الإسلامي في إثراء التجربة الصوفية في العالم الإسلامي، ومساهمتها في هذا الميدان لا تقل عن مساهمات أكبر البلدان الإسلامية مثل العراق وبلاد الشام ومصر وما لهذه الدول من السبق في المشاركة الفعالة والهامة في التأسيس لهذا العلم والتنظير له والإضافة فيه وتطويره وخدمته[1].

ولقد ربطت أغلب الدراسات حول موضوع ظهور التصوف ببلاد المغرب الإسلامي إلى عدة عوامل منها : التواصل بالمشرق عن طريق الرحلات العلمية والحج، إضافة إلى مساهمة الدولة الموحدية والتأثير الأندلسي وانتشار الربطات بسواحل المغرب الإسلامي .

---

[1] المعجم الوسيط ، ط4، مكتبة الشروق الدولية ، مصر، 2004، ص 408 .

[2] عبد الله زروقي، مرجع سابق ، ص114 .

[3] محمد الأمين شرويك ، **انتقال التصوف إلى بلاد المغرب الإسلامي**، مجلة أفاق فكرية، ع6، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017، ص92.

1- **عوامل انتشار التصوف :** يعود سبب انتشار التصوف في المغرب الإسلامي لعدة عوامل أهمها إلى :

- عوامل سياسية تتمثل في ما عرفته المنطقة من اضطراب وفوضى وعدم استقرار وفتن داخلية مما جعل الطبقة الشعبية تختار اللجوء إلى التصوف كوسيلة للتخلص من الأوضاع المتردية .
- عوامل فكرية وذلك من خلال ظهور أعلام التصوف ببلاد المغرب العربي وأثرهم الكبير في ازدهار الحركة الصوفية ومنهم أبو مدين شعيب وأبو الحسن الشاذلي، وأبو العباس مرسي، عبد الرحمن الثعالبي وإبراهيم التازي، الذين كان لهم أثر كبير في انتشار التصوف[1].
- عوامل اقتصادية واجتماعية تتجلى في الثراء الاقتصادي الذي عرفه المغرب الإسلامي ولجوء الأثرياء إلى التصوف تعبيرا عن الزهد في الدنيا، كما أن تردي الأوضاع الاقتصادية أدى إلى انتشار التصوف على أساس أن الفقر والحاجة يعتبر من خطوات التصوف[2].

2- **التصوف في المغرب الإسلامي :** إن وصول التصوف إلى المغرب الإسلامي وانتشاره يرجع حسب بعض الدارسين إلى ابن مسيرة الأندلسي (269 هـ-381 هـ)، صاحب تصوف فلسفي يعتد بأنه أثر في جل من ظهر من متصوفة المسلمين في الغرب الإسلامي وخاصة في المدرسة "المرية" الأندلسية موطن العديد من سالكي سبيل العرفان أمثال محمد بن عيسى الألبيري وابن العريف وغيرهم، فمعظم المتصوفين في المغرب الإسلامي أخذوا التصوف عن ابن مسرّة الأندلسي كما أن تأثرهم بأبو حامد الغزالي وبتجربته الفلسفية الصوفية أكبر وأكثر وضوحا وهي تجربة سنية أشعرية يعتد وصولها إلى المغرب الإسلامي عن طريق أبو بكر العربي(543 هـ- 1148م) والذي قيل عنه

[1] محمد الأمين شرويك ، مرجع سابق، ص93 .

[2] مرجع نفسه، ص ص 96-97 .

أنه تشبع بفكر الغزالي وسلك مسلكه حتى حاز على الخرقة* منه شخصيا[1].

إن حركة التصوف التي ظهرت في المشرق الإسلامي كان لها صدى قوي تجاوب معه المغرب الإسلامي مع مطلع القرن السادس الهجري، حيث وجدت لها ظروف ملائمة ومكانة سامية بين علوم التدريس الدينية، وازدهرت أكثر في الرباطات والمساجد والزوايا على يد شيوخ أجلاء مارسوا التصوف بصدق التوجه وتحلوا بِرِدَاءِ الزهد والتقشف، فأصبحوا أقطابا بارزين وزعماء مشهورين لطرق صوفية عديدة[2].

المبحث الثالث: نشأة الطرق الصوفية في تونس

من خلال هذا المبحث ستتطرق الدراسة إلى أهم الطرق الصوفية في تونس، وأهم خصائصها ومواردها وما يلاحظ أن أغلب الطرق الصوفية في البلاد التونسية ما هي في حقيقتها إلا فروعا للقادرية، اختلفت باتخاذها لأسماء شيوخها المتأخرين في حين أن مبادئها تكاد تكون نفسها. فالطرق الصوفية التي ظهرت بتونس كثيرة منها طرق وافدة وأخرى ناشئة محليا، ومنها طرق تفرعت عن طرق أخرى.

1- الطرق الأصلية :

1-1- الطريقة القادرية : تعد أقدم الطرق الصوفية على الإطلاق تأسسا وأولها ظهورا على

---

*الخرقة الصوفية : هي قطعة من الثوب و تعني عند الصوفية لباس الصوف الخشن ذو القطعة الواحدة والممزق والمرقع وتكون هيئته في شكل ثوب أو قلنسوة أو عمامة أو طاقية وعادة ما كان الشيوخ يلبسونها لمريدهم كعلامة على الصحبة في الطريق، انظر: الطاهر بونابي، **الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14و15 الميلاديين**، أطروحة دكتوراه ، التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر ،2008-2009 ،ص589.

[1]أحمد دركوش ، **مرجع سابق**، ص18.

[2]مرجع نفسه ، ص18

مستوى العالم الإسلامي[1]، وهي إحدى الطرق الصوفية السنية التي تنتسب إلى مؤسسها أبو حامد عبد القادر الجيلاني بن أبي صالح موسى الحساني، ولد في جبل جيلان* قرب بغداد سنة 1078م وتوفي في هذه المدينة وهو من أصل شريفي لكن من عائلة فقيرة[2].

الطريقة القادرية من أقدم الطرق الصوفية بالبلاد التونسية، مع العلم أن هذه الطريقة لم تلبث أن انتشرت في الأيالة، فشملت معظم أنحائها حيث كان لها أتباع عديدون وصل عددهم سنة 1925 إلى 681 117 [3] كما يبينه الجدول بالملحق رقم 3.

وقد انتشرت الطريقة القادرية في تونس عن طريق الحجاج وطلاب العلم وأول من نشرها في بلاد المغرب العربي هو الغوث أبو مدين شعيب بعد أن التقى بالشيخ عبد القادر الجيلاني في مكة، وعند رجوعه مرّ بتونس حيث التقى ببعض مشايخها فتأثر الكثير منهم به حتى صاروا يزورون زاويته في بجاية وذلك خلال القرن 12م[4].

وقد انتشرت الطريقة القادرية على يد الشيخ محمد لمام المنزلي الذي بنى لها أول زاوية بمنزل بوزلفة بمعونة حمودة باشا الذي اعتبر آنذاك من أوائل أتباعها[5].

---

[1]صلاح مؤيد العقبي، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البرق، بيروت، 2002، ص143.

*وهي مدينة الجيلان يقال أنها تابعة لإقليم طبرستان بعراق العجم وهناك رأي آخر أنها في بلاد فارس أنظر : صلاح مؤيد العقبي، مرجع نفسه ، ص 143 .

[2]سكينة عصامي، **الطريقة القادرية بالجريد التونسي من النشأة إلى الاضمحلال (1843-1954)**، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية،كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، م3،ع 5، صفاقس، تونس، 2017، ص130 .

[3]العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)**، مج2، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1992 ص39-40 .

[4]فطيمة قارة ، **موقف الطرق الصوفية التونسية من الحماية الفرنسية 1881-1939 (الطريقة القادرية والتيجانية)** ، رسالة ماجستير، تاريخ حديث و معاصر، جامعة الجزائر 2، 2011-2012، ص27 .

[5]العجيلي التليلي، **الوضع الطرقي بالجريد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر**، المجلة التاريخية المغاربية،ع75-76، زغوان، تونس، 1994، ص 301 .

وحسب محمد البهلي النيال فإن الطريقة القادرية بقيت بدون زوايا في تونس حتى القرن الثامن عشر أين برز الشيخ أبو الحسن علي بن عمر الشايب المنزلي، الذي علم بدوره محمد الإمام وحاولا معا نشر الطريقة القادرية في المجتمع التونسي[1] .

وتعد الطريقة القادرية من الطرق الصوفية المهيمنة على الجنوب التونسي فنجد عدة زوايا مثل سيدي منصور بقفصة وزاوية محمد بن إبراهيم بنفطة والتي كانت تعتبر أهم مؤسسة دينية بالجريد والجنوب التونسي[2]، فهي تمثل ملجأ لمئة من الطلبة ويتردد عليها أكثر من سبع مائة من الأتباع جلهم من الأشراف، ورغم أن قادرية الجريد وليدة قادرية منزل بوزلفة إنها سرعان ما انفصلت عنها وأصبحت بمثابة الزاوية الأم يشمل نفوذها زوايا القادرية بالوسط والجنوب التونسيين والجنوب الجزائري[3].

لقد كان للطريقة القادرية نفوذا واسعا داخل البلاد وخارجها وأصبحت الزاوية الأم بالوسط والجنوب التونسي[4].

توفي عبد القادر الجيلاني سنة 561 هـ (1165م)، ودفن في بغداد وضريحه مشهور ويزار ويتبرك به، ومن بعده لم تأسس فروع لهذه الطريقة التي كانت نظاما عاما أكثر منها طريقة صوفية محددة فأصبحت هذه الطريقة من الطرق الكبرى الملهمة لملايين من المسلمين حتى يومنا هذا[5].

---

[1]محمد اليهلي النيال ، **الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي** ، دار النجاح ، تونس 1965 ، ص322 .

[2]محمد بن عبد الوهاب أحمد ، **القبيلة والزاوية في تونس ، دراسة سيسيو أنثروبولوجية لفرقة العكارمة بقفصة** ، ط1، المركز الديمقراطي العربي ، ألمانيا ، 2021 ، ص72 .

[3]العجيلي التليلي، **الوضع الطرقي بالجريد** ...، مرجع سابق، ص 302 .

[4]سكينة عصامي، مرجع سابق ، ص132 .

[5]علي علي أبو شامي، **التصوف والطرق الصوفية في العصر العثماني المتأخر دراسة في وجود الطرق وانتشارها ونفوذها الديني والاجتماعي والسياسي** ، ط1 ، بيسان للنشر والتوزيع ، بيروت ، 2017، ص230 .

وتتمثل قواعد الطريقة القادرية في :

- الالتزام بكتاب الله والسنة وهنا يقول الشيخ عبد القادر " طريقتها مبنية على الكتاب والسنة فمن خالفهما فليس منا " .
- الجد والكد ولزوم الجد حتى تنتقده .
- الاجتماع والاستماع والإتباع حتى يحصل الانتفاع .
- حب الشيخ .
- كثرة الذكر لله تعالى .
- محبة آل البيت وحبهم مقدم على كل من سواهم من الناس[1] .

ومن أبرز زوايا الطريقة القادرية في تونس، زاوية منزل بوزلفة، زاوية الكاف، زاوية توزر وزاوية نفطة، إضافة إلى زوايا أخرى مثل زاوية صفاقص، زاوية قابس وزاوية جربة[2].

1-2- الطريقة التيجانية :

عرفت فترة نهاية القرن 18م طريقة صوفية جديدة شملت شمال إفريقيا، هي الطريقة التيجانية، أسسها الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد التيجاني، الذي ولد بعين ماضي قرب الأغواط بالجزائر سنة 1737م، من عائلة علمية فكان أبوه متمكن من العلوم الدينية أخوه عمر كان حافظا لكتاب الله، عاش في وسط متشبع بالعلم والمعرفة[3]، وقد انتهى إلى طريقته الخاصة وذلك عندما كان في عزلته الخاصة ببوسمغون*[4].

---

[1] سكينة عصامي، مرجع سابق ، ص130 .

[2] أحمد بن تيشة، **الصلات الروحية بين الطرق الصوفية في بلاد المغرب أثناء العهد العثماني (الجزائر وتونس أنموذجا)** ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2014-2015، ص ص 81-82 .

[3] شيخ لعرج، **موقف الطريقة التيجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين**، رسالة دكتوراه، تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2016-2017، ص 12 .

[4] عبد الله مقلاتي، **الطرق الصوفية في الجزائر أمام جدلية فاعلية حضورها الاجتماعي والسياسي، الموقف من الاحتلال الفرنسي نموذجا**، الملتقى الدولي الحادي عشر" التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، أدرار، 2008، ص512 .

وظهرت هذه الطريقة بعين ماضي في الجزائر، وقد لعب الشيخ أحمد التيجاني دورا بارزا في نشر هذه الطريقة حيث قضى 34 عاما ينشر دعوته سبعة عشر سنة في الجزائر والباقي في فاس، وقد تلقت دعوة التيجاني استجابة كبيرة بعين ماضي[1].

فقد كان دخولها إلى البلاد التونسية في مطلع القرن (19م)، على يد سيدي إبراهيم الرياحي*، حيث كانت أول زاوية للطريقة بالبلاد التونسية، حيث تركزت أولا بالحاضرة ثم غزت الجنوب فأسست سنة 1814م زاوية بتوزر ثم ثانية سنة 1823م، كما كان لها أتباع بالمنطقة، في حين لم تظهر لها زوايا في النصف الشمالي، إلا في مطلع النصف الثاني من القرن 19م، منها زاوية الشاوش صالح بباجة سنة 1846م، وأخرى ببن زرت سنة 1860م، وبباب المغارة سنة 1875م، وزاوية سيدي صالح التيجاني ببوعرادة، والتي ولد بها محمد الشريف التيجاني على الأرجح سنة 1886م، والذي كان والده قد خلف أباه في مشيخة الزاوية سنة 1868م[2].

أما عن انتشار الطريقة التيجانية في تونس أنها لما ظهرت هناك هبّ التونسيون كغيرهم للانخراط فيها سواء كانوا في الحاضرة أو في الجنوب ومنهم الشيخ إبراهيم الرياحي، ثم بدأ تأسيس الزوايا مثل: زاوية الشيخ إبراهيم الرياحي وهي أول زاوية تيجانية في القطر التونسي، وتقع قرب دكاكين عاشور نهج سيدي إبراهيم بتونس العاصمة[3] .

كما انتشرت هذه الطريقة في بدايتها في وسط الطبقة الحاكمة والمثقفين، ومن أهم مناطق انتشارها العاصمة بحوالي ستة زوايا وسوسة بثلاث زوايا وتوزر بثلاث زوايا وقابس بثلاث زوايا،

---

[1] فطيمة قارة، مرجع سابق، ص18 .

* إبراهيم الرياحي : هو أبو إسحاق بن عبد القادر الرياحي ابن الفقيه إبراهيم الطرابلسي ، ولد في 1180 ، قدم إلى تونس وتعلم من أكبر علمائها ثم توجه إلى المغرب أين التقى الشيخ التيجاني سنة 1804/03م، وأخذ عنه إجازة الطريقة في تونس وأسس أول زاوية لها في تونس أنظر: فطيمة قارة، مرجع سابق ، ص21.

[2] خير الدين شترة، **الصلات الروحية بين الطرق الصوفية في المغرب العربي (الجزائر وتونس أنموذج)**، ورقة بحثية مقدمة ضمن ملتقى بعنوان التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، الجزائر، 2008، ص 415 .

[3] شيخ لعرج، مرجع سابق، ص ص 23-24 .

وقد عرف انتشار الطريقة التيجانية بتونس مرحلتين، الأولى قبل الحماية الفرنسية من طرف إبراهيم الرياحي، والثانية في ظل الحماية من طرف الشريف المنوبي التيجاني، وقد عرفت الطريقة التيجانية في هذه المرحلة انتشارا أوسع في الجنوب والغرب ولعل ذلك راجع إلى التسهيلات التي حصلت عليها من السلطات الاستعمارية نتيجة مواقفها تجاه السياسة الفرنسية[1]، ليصل أتباعها سنة 1925 إلى 16094 مريدا، وعدد زواياها في هذه السنة 24 زاوية[2] .

2- الطرق الفرعية

2-1- الطريقة الشاذلية : لقد تفرع عن الطريقة القادرية عدة طرق منها الطريقة الشاذلية، فالشاذلية من الطرق الصوفية التي تفرعت عن الطرق الكبرى في القارة الإفريقية، ويرجع تأسيسها إلى الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله الشاذلي الذي ولد في عام 1196م[3] في قبيلة غمارة قرب سبتة بالمغرب الأقصى أي سنة قبل وفاة أبي مدين، وأخذ تعاليم شيخه ابن مشيش وهو شاب، ولم يكد يبلغ من الثانية والعشرين حتى توجه إلى قرية شاذلة خارج عاصمة تونس، واختلى بها، ويقولون أنه استقر في جبل جلاس واختلى فيه، ثم اشتهر أمره وجاءه الزوار والفضوليون ولكن السلطة السياسية كانت له بالمرصاد[4]، وقدم فعلا للمحاكمة بسبب أفكاره فاضطر للهروب إلى مصر حيث ذاع صيته وحقق شهرة كبيرة بين الشعب المصري وطلبة العلماء وتعود إلى التوجه إلى مكة سنويا لأداء فريضة الحج وتوفي أثناء العودة من رحلة الحج عام 1208م[5].

2-2- الطريقة المدنية : وقد ظهرت هذه الطريقة في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر ميلادي في طرابلس وفي مصراتة بالذات، وكان الشيخ محمد بن حمزة المدني قد أخذها عن شيخه محمد العربي الدرقاوي[6] .

---

[1] فطيمة قارة، مرجع سابق، ص21.

[2] شيخ لعرج، مرجع سابق، ص24.

[3] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، مرجع سابق، ص137 .

[4] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص66.

[5] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، مرجع سابق، ص137 .

[6] أحمد بن تيشة، مرجع سابق، ص 97 .

تولدت هذه الطريقة عن الدرقاوية المتفرعة بدورها عن الطريقة الشاذلية، وقد سميت بالمدنية نسبة إلى مؤسسها ظافر المدني، الذي خلفه ابنه محمد ظافر المدني، ومع هذا الأخير يبدأ التاريخ العثماني للطريقة المدنية، فقد كان من أكبر المقربين للسلطان عبد الحميد الثاني (حكم بين 1297-1330 هـ/1876-1909م)، وكان مستشاره الخاص ومحل ثقته الكبيرة إلى درجة أن السلطان دخل في الطريقة المدنية وبنى له زاوية باسطنبول[1]، فأسس عدة زوايا خاصة بطرابلس الغرب، كما زار تونس وأسس زاوية الشيخ أبي عبد الله بصفاقس، وقد توطدت علاقته بالسلطان عبد الحميد الذي قربه منه بعد أن أصبح من أتباع الطريقة، وبنى زاوية بالأستانة من ماله الخاص رغم أنها لم يكن لها عدد كبير من الأتباع[2]، وقد عملت السلطات الاستعمارية على تحقير هذه الطريقة والزوايا التابعة لها وذلك بتزييف أرقام حول حجمها وتعددها وذلك لتأييدها لفكرة الجامعة الإسلامية ولكن يبدو أن هناك ضعف حقيقي في انتشار الطريقة المدنية بتونس ولعل ذلك يعود إلى ارتباطها بالإمبراطورية العثمانية التي عجزت عن حماية تونس من فرنسا سنة 1881م[3].

2-3-الطريقة الرحمانية : دخلت هذه الطريقة إلى تونس متسربة من الجزائر مستمدة اسمها من محمد بن عبد الرحمان القشتولي عبر تأسس زاوية الكاف عن طريق أحد أتباع محمد بن عبد الرحمان وهو سي مصطفى الطرابلسي والذي عوضه بعد وفاته أحمد بن علي بوحجر حيث توارثت عائلة بوحجر الإشراف على الزاوية إلى الوصول إلى الشيخ سيدي علي بن عيسى[4] الذي كان سنة 1881م من المناهضين للدخول الفرنسي لتونس وأحد الذين تزعموا المقاومة هناك (الكاف)[5]، كما تأسست زاوية نفطة من أبناء محمد بن عزوز القادمين من الجزائر عبر الجريد التونسي، وأصبحت تغطي كامل الجنوب الغربي بالإضافة إلى زاوية سيدي عبد المالك بهنشير

---

[1]أحمد بن تيشة، مرجع سابق، ص 97 .

[2]العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ... ، مرجع سابق ، ص 47

[3]لطيفة الأخضر الغول، **الإسلام الطرقي والتحولات السياسية والاجتماعية بتونس في العهد الاستعماري 1881-1934 شهادة تعمق في البحث**، الجامعة التونسية، تونس ، 1989-1990، ص68 .

[4]أحمد دركوش ، مرجع سابق ، ص32 .

[5]صلاح مؤيد العقبي ، مرجع سابق ، ص576 .

الشط (سليانة)[1]، علما أن إشعاع زاوية الرحمانية بالجريد وصل أوجه زمن شيخها مصطفى ابن عزوز ولقد تعددت في عهده الزوايا التابعة له مثل زاوية سيدي أحمد الزاير التي تأسست سنة 1847م كدية الحلفاء وزاوية الشيخ مبارك التي تأسست بتالة سنة 1860م وزاوية سيدي عبد المالك بهنشير الشط بسليانة التي أسسها ابنه حسونة شيخ الرحمانية بأولاد عون وذلك في أفريل سنة 1911م[2]، وزاوية أخرى بتوزر سنة 1846م على يد بوبكر بن خالد وفي الفراشيش تأسست أربعة زوايا رحمانية تعود الى ابن عزوز وهي الزاوية العزوزية بالقصرين وزاوية الشيخ مبارك بتالة سنة 1860م، وكان لها آنذاك نفوذ كبير حتى أن أتباعها كانوا يمثلون نصف سكان الفراشيش[3].

2-4 الطريقة العيساوية : وهي من فروع الشاذلية ومؤسسها هو محمد بن عيسى دفين مكناس بالمغرب الأقصى وقد اشتهرت العيساوية بين العامة على أنها من الطرق المهرجة، فهي تمارس ظاهريا أعمالا لا علاقة لها بالتصوف والعبادة ،كالرقص وأعمال العنف[4].

وردت إلى تونس من المغرب الأقصى، وقد دخلت إلى تونس منذ القرن 16م وأصبحت أكثر انتشارا[5] .

2-5 الطريقة الشابية : أصل هذه الطريقة يرجع إلى أحمد علي الشابي مؤسس الطريقة الناصرية أحد فروع الطريقة الشاذلية وقد تولى علي الشابي نشرها من مدينة الشابة التي نسبت إليها، وهذا ما ذهب إليه ديبون وكوبولاني، وكانت من أشد أعداء العثمانيين رغم أن مجال انتشارها اقتصر على نفطة[6].

---

[1] لطيفة الأخضر الغول، مرجع سابق ،ص48 .

[2] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ...، مرجع سابق، ص52.

[3] العجيلي التليلي، **الوضع الطرقي بالجريد** ...، مرجع سابق، ص304 .

[4] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 84 .

[5] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ...، مرجع سابق، ص55.

[6] أحمد دركوش، مرجع سابق ، ص31.

2-6 الطريقة السنوسية : تنسب إلى محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسن الإدريسي، ولد سنة 1202هـ/1787م ببلدة يَلّلْ قرب مستغانم، ويعود سبب اشتهاره بالسنوسي إلى جده الذي لقب نفسه بذلك تبركا بالشيخ الإمام محمد بن يوسف السنوسي عالم تلمسان، سافر إلى عدة دول عربية منها المغرب الأقصى وتونس، طرابلس، القاهرة وصولا إلى مكة المكرمة أين أسس طرقته الجديدة، وانتشرت زوايا السنوسية بسرعة في ليبيا وتونس والجزائر، وتقوم تعاليمها على الدعوة الإسلامية والعمل بالكتاب والسنة[1]، أما في تونس فقد انتشرت تعاليم السنوسية بسرعة ولها زاوية بالجريد التونسي تسمى العرب وقد عرفت بعدائها للاستعمار الفرنسي والعمل على مقاومته[2] .

2-7 الطريقة السّلامية: تنسب إلى مؤسسها عبد السلام بن سليم الفيتوري، المشهور بالأسمر، ولد بزليطن الواقعة بالقطر الليبي، ودفن بها سنة 1573م، وهي طريقة جذب وضرب على الدفوف وإنشاد القصائد الصوفية باللهجة العامية ويعود انتشارها في تونس إلى منتصف القرن 19 في عهد المشير أحمد باي[3].

المبحث الرابع : خصائص ودعائم الطرق الصوفية

1- خصائص الطرق الصوفية : على الرغم من تعدد الطرق الصوفية واختلافها خاصة من حيث مفاهيم الممارسة عند مشاييخها وكيفية آداء الأذكار والأوراد وأوقاتها، إلا أننا نجدها تشترك في مجموعة من الخصائص والأهداف التي تكسبها مكانة دينية وأخلاقية عالية في المجتمع الإسلامي إضافة إلى التنظيم المحكم الذي تميزت به عبر مختلف مراحل انتشارها[4]، إذ تعد الطرق الصوفية صالحة لكل زمان ومكان، وقد استقطبت مختلف فئات المجتمع عبر مراحل تاريخها الطويل نتيجة للحركة الدائمة في ذاتها .

---

[1] أحمد بن تيشة، مرجع سابق ،ص ص 55-56 .

[2] مرجع نفسه ،ص91 .

[3] مرجع نفسه ،ص97 .

[4] أحمد بوكاري ، **الإحياء والتجديد الصوفي في المغرب 1790-1912 – التيجانية والشاذلية والمختارية والقادرية نموذجا**، ج2، ط1، ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2006، ص16 .

تتميز أغلب الطرق الصوفية بامتلاكها لنسق مفاهيمي خاص تقوم بتلقينه لأتباعها وهذه الأنساق المفاهيمية تتركب من أوراد وأدعية وأذكار يقع تكرارها بصفة فردية أو جماعية حسب مواقيت محددة من ذلك تكرار قول (لا إله الا الله) ، (استغفر الله)، والصلاة على النبي عدة مرات على امتداد الليل والنهار[1] .

ومن خصائصها أنها تمتاز بالمرونة من حيث تعاليمها ومناهجها الفكرية حتى يتسنى لها التلاؤم مع أفكار الناس في كل زمان ومكان واستقطابهم كأتباع لها نتيجة للحركة الدائمة في ذاتها الملتفة حول نفسها بما لها من الهام روحي وتأثير ديني نابعان من نصوص القران الكريم وتعاليم السنة النبوية الشريفة[2] .

ورغم أن بعض الطرق الصوفية حجرت استعمال أي نوع من آلات الطرب أثناء الذكر فإن طرقا أخرى أباحتها مما ساهم في إيجاد حالة من الوجد تخرج بأصحابها عن الإحساس بواقعهم[3]. فتظهر فوائد الطرق وأهدافها العلية حيث يقول أبو العباس أحمد مرزوق "فائدة الشيء ما تصدى له وجوده وفائدته حقيقته في ابتدائه أو انتهائه أو فيها معا فالتصوف علم قصد إصلاح القلوب وأفرادها لله عما سواه ..." فالمتصوفة يقدمون أجل الخدمات للحياة الروحية من خلال تكوين عادة العبادة والذكر في نفوس أتباعهم وهم بذلك يرفعون الشعور الديني الصميم إلى درجة عِلِيّة تصل ببعضهم إلى مقام الزهد في الدنيا والتعلق بالحب الخاص للخالق الواحد والرغبة الصادقة في عقد صلة القرب به[4] .

وعموما فإن معظم الطرق الصوفية سعت إلى صقل شخصية الأفراد بالمبادئ الدينية، اعتمادا على تعاليم القران الكريم والسنة النبوية، كما عملت على ترسيخ عقيدة المعية الإلهية، وأن الله يحيط عباده من كل جانب بعلمه وقدرته.

---

[1] سالم لبيض، **الإسلام الطرقي في المغرب العربي بين الاضمحلال والتجدد مثال البلاد التونسية**، مجلة روافد، ع6، جامعة منوبة، تونس، 2001، ص149.

[2] أحمد دركوش ، مرجع سابق ، ص23.

[3] التليلي العجيلي ، **الطرق الصوفية** ...، مرجع سابق، ص55 .

[1] أحمد دركوش، مرجع سابق ، ص24 .

وبذلك استطاعت الطرق الصوفية تحقيق الوحدة الروحية بين أفراد المجتمع نتيجة التلاحم بين أفراد المجتمع والزوايا والربطات وغيرها، حيث سعت إلى إزالة الفوارق الاجتماعية بين الفئات والشرائح الاجتماعية المختلفة، من خلال إنهاء الخلافات والخصومات بين الأفراد والجماعات بفضل مكانة شيوخها وولائهم[1].

2- دعائم الطرق الصوفية

2-1- الدعائم البشرية للطرق الصوفية

تمثل الطرق الصوفية قوة بشرية هائلة بالنسبة للنفوذ الذي تمثله، فقد قُدِّرَ تعدادها حوالي 306937 من الأتباع سنة 1925م، وهو ما يمثل تقريبا سدس سكان البلاد الذين بلغ عددهم 1890000 حسب تعداد 1921م، علما أن عدد الإتباع يختلف تبعا للطرق وللمناطق، ولكن ما يلاحظ أن هناك تفاوت عدد الأتباع بين الطرق حيث تعتبر الطريقة القادرية أهم طريقة في البلاد تليها الطريقة الرحمانية ثم العيساوية في حين نجد أقل عدد لدى الطريقة المدنية ولعل ذلك يعود إلى حظوة الطريقة وقوة إشعاعها إضافة إلى سبب أخر وهو مدى مساندة السلطة و تدعيمها لطرق دون الأخرى، كما نجد أيضا أن التوزيع الجغرافي لهذه الطرق يختلف من منطقة إلى أخرى حيث نجد أغلب الطرق في الشمال الغربي والوسط والوسط الغربي التي تملك فيها آلاف الأتباع خلافا للمناطق الساحلية[2].

كما أن هناك تفاوت واضح لتوزيع الطرق لصالح المناطق الداخلية الشمالية منها والوسطى الجنوبية بالبلاد وهي تلك المناطق التي يضعف بها نمط الحياة الحضري وشبه الحضري ليسيطر بها النمط الريفي القبلي[3] .

---

[1] أحمد دركوش، مرجع سابق ، ص22 .

[2] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ...، مرجع سابق ، ص ص 67-68 .

[3] لطيفة الأخضر الغول ، مرجع سابق، ص69 .

2-1 الدعائم المادية للطرق الصوفية : لقد كان للطرق الصوفية في تونس دعائم وموارد مختلفة وممتلكات هامة فالطريقة القادرية مثلا كان لها ممتلكات متنوعة بل إنها استحوذت على أكبر نصيب من أملاك النخيل، هذا إضافة إلى الموارد والعائدات المتأتية من مداخيل أخرى وهي:

- أموال الزيارات .
- أموال الإعفاء من الضرائب .
- عائدات ملكية الدواب والمواشي .
- مداخيل النشاط التجاري[1] .

إذا فموارد الطرق الصوفية تتمثل أساسا في :

2-1-1 الممتلكات العقارية : تتكون من البساتين والأجنة والأراضي الزراعية المتأتية في أغلبها من الوقف والتي تدر عليها مداخيل ضخمة وتتمثل في الأشجار المثمرة والأراضي الزراعية .

2-1-2 الممتلكات المنقولة : تتمثل في رؤوس الأموال المتجمعة لدى مشايخ الطرق والمتأتية لهم من عدة أوجه أهمها : الزيارات والإعانات[2].

وحول هذا النوع بالذات من المداخيل تكمن الصعوبة لأن التقارير الحسابية أو الحسابات المكتوبة منعدمة أو نادرة في هذه الأوساط ، ولعل ذلك ما دفع بالجنرال خير الدين في إطار إصلاحاته أن يقرر بمرسوم 01 مارس 1874 تأسيس جمعية الأحباس وهي إدارة موحدة تهتم بتنظيم كل الأوقاف بالبلاد[3].

فمن الصعب جدا التعرف على الحقيقة الاقتصادية للطرق الصوفية بصفة مضبوطة لسبب بسيط وهو أن ممتلكاتها تنقسم إلى قسمين ، منها ممتلكات قارة وهي الأحباس، ومنها ما هي غير قارة وهي المداخيل المتأتية من الزيارات وهي بمثابة الضريبة المباشرة وحول هذا النوع بالذات من

---

[1] سكينة عصامي ، مرجع سابق ، ص135 .

[2] العجيلي التليلي ، **الطرق الصوفية** ... ، مرجع سابق ، ص ص57-59 .

[3] لطيفة الأخضر الغول ، مرجع سابق، ص84 .

المداخيل تكون الصعوبة لأن التقارير الحسابية منعدمة أو نادرة في هذه الأوساط[1].

إلا أن النتيجة بقيت تقريبية فوفق الجدول المحوصل لمداخيل الطرق الدينية بتونس لسنة 1925م، نجد مكتوبا "لا يمكن فحص هذا الجدول سوى من معلومات نسبية "ومن خلال هذه المعطيات التقريبية يمكن أن نستخلص أن المداخيل المتأتية من الزيارات أي مما يقدمه الأتباع من صدقات أو هدايا في مناسبات عديدة تمثل النصيب الأوفر بالنسبة للمدخول العام الذي تدخل فيه مداخيل العقارات من الأحباس مثلما يدلنا على ذلك الجدول التالي[2].

اسم الطريقة	الدخل السنوي لعقارات الطرق بحساب الفرنك	الدخل السنوي المتأتي من الزيارات بالفرنك
القادرية	44.000	120.00
الرحمانية	93.000	97.000
العيساوية	16.800	56.310
التيجانية	23.830	24.000
المجموع	187.630	297.310

إنّ ما كان يملكه شيوخ الطرق الصوفية يذكرنا شيئا ما بسلوك الارستقراطية الإقطاعية، وبالتتبع الدقيق في البحث يظهر أن الأصل الأول هو المركز الديني لهؤلاء فهو الذي يسمح لها المكسب من خلال المهمة الدينية المتمثلة في الإشراف على تسيير وخدمة عقارات الزوايا، وهذا الحق في الإشراف والمراقبة هو الذي يسمح لها بتحويل أجزاء من المداخيل لصالحها، ولعل هذا ما يفسر ولو جزئيا تفوق قيمة عقارات المشايخ عن قيمة عقارات زواياهم[3].

---

[1] لطيفة الأخضر الغول ، مرجع سابق، ص84 .

[2] مرجع نفسه، ص85 .

[3] مرجع نفسه، ص91 .

المبحث الخامس : الدور الاجتماعي للطرق الصوفية

لم يكن البعد الاجتماعي منفصلا عن البعد الديني في الواقع، فقد كان إفرازا له ونتيجة حتمية من نتائجه وهذا ما يبدو جليا في الأدوار التي اضطلعت بها الزاوية، وكذلك الطريقة الصوفية، فالزاوية مثلا كان لها نشاط اجتماعي مميز حقا، فقد استطاعت أن تنشط العلاقات بين أفراد المحيط الاجتماعي عموما وبين روادها خصوصا، وأن تنجح في ابتكار إطار للتعارف وتأسيس العلاقات بديلا عن الطرق المعتادة عليها سواء أكان ذلك عن طريق حلقات الذكر والتعلم والتلقي أو عن طريق الزيارة التي كانت سببا في إيجاد العلاقات الاجتماعية وتجديدها[1].

إن بروز التصوف كظاهرة اجتماعية في تونس كان انعكاسا للصفات التي تتميز بها شخصيات التصوف من الزهد في الحياة والاكتفاء بالقليل من متاع الدنيا وتركوا ملذات الحياة وابتعدوا عن هموم الصراع حول الحكم والعمل السياسي، مما جعل الناس يميلون إليهم خاصة فيما كانوا يقومون به من حل للخلافات التي كانت تنشب بينهم، وقد أسهمت الطرق الدينية في المجتمع التونسي إسهاما فعالا من خلال :

- تحقيق الوحدة الروحية بين أفراد المجتمع .
- إزالة الفوارق الاجتماعية بين الفئات والشرائح الاجتماعية المختلفة .
- المساهمة في العمل الخيري الاجتماعي والتعليمي و تفعيل دور المسجد والزاوية.
- كفالة اليتامى والأرامل من خلال إيوائهم والتكفل بهم و بحاجياتهم.
- المحافظة على عادات وتقاليد المجتمع من خلال مساهمة الزوايا في إحياء مختلف الأنشطة مثل التويزة والاحتفالات الدينية[2] .

و يتجلى ذلك في كون الزوايا قد عملت على توفير الطعام للزائرين والمريدين والجائعين والمساكين وكذلك الإقامة لمن يحتاجونها، إضافة إلى مهمات أخرى كالإطعام والضيافة والإكرام ،

---

[1] أحمد دركوش، مرجع سابق ، ص19 .

[2] مرجع نفسه ، ص 23.

ومن الإسهامات الاجتماعية الايجابية للطرق الصوفية ترتيل جملة من القيم والمبادئ على مستوى الممارسات بين أفراد الطريقة مثل: المحبة، التعاون، التضامن والتآزر، وهي قيم ضرورية حقا لأي مجتمع بشري[1].

ومن جانب أخر عمل شيوخ الطرق الصوفية على إصلاح ذات البين بين الجماعات المتناحرة و إذا كان قادرا على نشر العدل و السلم في مجتمع قبيلته ، فبالأحرى أن يسخر كراماته و خوارقه ، أو ريهما صلاحه أيضا لحماية قبيلته من تعدي الغير[2].

و من المهام البارزة التي اضطلع بها الأولياء، تخفيف وطأة المجاعة التي كانت تعم البلاد، وإطعام الطعام في الزوايا لاسيما خلال الأزمات الاقتصادية، فقد كان الأولياء أسخياء في سبيل إنقاذ أرواح الآلاف من الناس، كما عملوا على شحن النفوس بغذاء روحي وذلك بحث أتباعهم على الصبر والرضا بقضاء الله و قدرة وتحبيب الفقر إلى العباد باعتباره الطريق إلى محبة الله والفوز بالجنة[3].

لذا فقد كان للطرق الصوفية دورا دينيا واجتماعيا هاما وذلك ما ساهم في تحقيق الوحدة الروحية بين أفراد المجتمع .

خلاصة :

من خلال الفصل الأول يتبين أن موضوع التصوف من الموضوعات الهامة التي أثارت جدلا بين الباحثين والعلماء في علوم الدين والحياة الروحية، فالاختلاف واضح في إيجاد مفهوم موحد للتصوف، وقد انتشر التصوف في شمال إفريقيا من خلال الأندلس والمشرق العربي، أما وصول التصوف إلى تونس فكان من المناطق المجاورة كالجزائر والمغرب خاصة، وقد ظهرت طرق أصلية وتفرعت عنها طرق أخرى كثيرة، تركزت خاصة في الشمال الغربي والوسط والوسط الغربي بدرجة أكثر اتساعا من باقي الجهات في تونس .

---

[1] أحمد دركوش، مرجع سابق ، ص21 .

[2] نور الدين بلعربي ، مرجع سابق ، ص 91 .

[3] مرجع نفسه ، ص 92 .

السياسة الاستعمارية و أثرها على مكانة الطرق الصوفية

تمهيد :

بالاعتماد إلى تجربتها في الجزائر، حددت فرنسا ملامح سياستها تجاه الطرق الصوفية في تونس، بعدما تأكدت أن تلك الطرق التي تمثل بأتباعها قاعدة شعبية كبيرة تستطيع بالفعل قيادة الجهاد ضدها، خاصة مع ظروف تلك الفترة وواقعها الاجتماعي لذا كان تخوف فرسا كبيرا منها فسعت إلى دراسة تلك الطرق وتوظيفها لخدمة مصالحها، وهذا ما يطرح عدة تساؤلات أهمها :

- ما هي أساليب السياسة الفرنسية اتجاه الطرق الصوفية وهل تمكنت من إخضاعها والتأثير على مكانتها الاجتماعية والاقتصادية ؟
- و للإجابة على هذه الأسئلة تم تقسيم الفصل الثاني إلى ثلاث مباحث وهي :

المبحث الأول : الطرق الصوفية بين المهادنة و المقاومة .

المبحث الثاني : السياسة الاستعمارية و الطرق الصوفية .

المبحث الثالث : أثر السياسة الاستعمارية الفرنسية على مكانة الطرق الصوفية .

المبحث الأول: الطرق الصوفية بين المهادنة و المقاومة

1- فرض الحماية الفرنسية على تونس

لقد كانت تجربة احتلال فرنسا للجزائر تجربة كبدت السلطات الفرنسية خسائر مادية وبشرية كبيرة، مما اضطرها إلى تغييرها أثناء احتلال تونس عن طريق فرض الحماية*، وذلك بإبقائها في ومراقبتها عن كثب، أما فيما يخص شؤون البلاد وعلاقاتها الخارجية ففرنسا وحدها كفيلة بذلك بموجب الحماية[1]، حيث كان التخطيط متكاملا بمراحله العسكرية والدبلوماسية، فكانت فرنسا على استعداد واستغلت المناوشة الحدودية التي حدثت في 30 و31 مارس سنة 1881م بين جنود فرنسيين وبعض التونسيين[2]، وفي 1881/04/24 دخلت كتيبة فرنسية بقيادة الجنرال لوجيور Logere تضم 35000 رجل من الجزائر إلى تونس، وكانت أول مدينة احتلوها هي مدينة الكاف وفي 26 أفريل تلتها مدينة سوق الأربعاء بعد يومين من ذلك ثم مدينة عين الدراهم ثم الطبربة بعد قصفها بالقنابل، وفي الفاتح من ماي استسلمت مدينة بنزرت بدون مقاومة، وفي 8 ماي1881 زحف الجنرال بريبار Préart على مدينة تونس[3]، وما إن مضى شهر حتى أصبحت القوات الفرنسية محتلة لمعظم المواقع والمدن الرئيسية في تونس، معلنة بذلك إنهاء استقلال البلاد التونسية ولم يبق سوى إمضاء المعاهدة المشؤومة[4] .

وبعد أن سيطروا على العاصمة قدم السفير الفرنسي إلى الباي نسخة من المعاهدة التي من المفروض عليه التوقيع عليها[5] .

---

*الحماية : وهي أن توضع دولة بمقتضى معاهدة تحت كنف دولة أخرى لتقوم بحمايتها من الاعتداء عليها .

[1]محمد الهادي الشريف، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تر، محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص ص 99-100 .

[2]خليفة الشاطر وآخرون، **تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال**، ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005، ص20.

[3]علي المحجوبي، **انتصاب الحماية الفرنسية على تونس**، د ط، دار سراس للنشر، تونس، 1886، ص44.

[4]ميشال حداد وعاطف عيد، **قصة وتاريخ الحضارات العربية**، د ط، ص66.

[5]شوقي عطاء الله وعبد الرزاق إبراهيم، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، ط2، دار الزهراء، السعودية، 2002،ص277.

توقيع معاهدة باردو: احتلت الجيوش الفرنسية تونس في ماي 1881، ودخلت ثلاث مناطق عن طريق البر والبحر، واحتل الجنود الفرنسيون بقيادة الجنرال بريار Préart بنزرت وتوجهوا نحو تونس العاصمة وفي 12 ماي عسكر الجنود بالقرب من باردو وتوجه باريار Préart ومعه القنصل الفرنسي "روستان" Theodore Roustan* لمقابلة الباي وقدم له نسختين من المعاهدة المعدة سلفا وأمهله مهلة ساعات ليقبل المعاهدة أو يرفضها، فما كان جواب الباي إلا أن وقعها مرغما[1] أمام تهديد الفرنسي بخلعه عن العرش في حال رفض التوقيع، وبذلك انتهى الاستقلال الفعلي لتونس بتوقيع معاهدة باردو في 12 ماي 1881[2] التي لم تذكر في نصها لفظة حماية بل نصت على أنها معاهدة وداد وصداقة، إلا أنها اعتدت على السيادة التونسية داخليا وخارجيا[3]، وهي المعاهدة التي كرست الحماية وأنكرت الحقوق الوطنية ومسخت الهوية الوطنية والفساد السياسي وبذلك تم الاستحواذ على الخيرات وحدث الاستغلال الاقتصادي وتفكيك البناء الاجتماعي وتشريد الأهالي واستبدالهم بمستوطنين أوروبيين وغيرها من أشكال العنف التي تبين مدى فضاعة الاستعمار الفرنسي .

في سنة 1883 شهدت تونس الكثير من التغيرات والتطورات على مستوى النظام السياسي التونسي وخاصة بعد توقيع اتفاقية المرسى في 08 جوان 1883 التي أدت إلى تغيير النظام السياسي الذي كان سائدا قبل هذه الفترة إلى نظام سياسي مزدوج التركيب، أحده يشرف عليه التونسيين والآخر أسلوب الحكم الفرنسي سيطر عليه الفرنسيين[4] .

---

[1] الطاهر عبد الله، **الحركة الوطنية التونسية رؤية قومية شعبية جديدة (1930-1956)**، ط2، دار المعارف، سوسة، تونس، 1990، ص25.

[2] راغب السرجاني، **قصة تونس من البداية إلى ثورة 2011**، ط1، دار أقلام للنشر، القاهرة، 2011، ص22.

[3] علي البهلوان، **تونس الثائرة** ، د ط، مؤسسة هنداوي س ياي سي، المملكة المتحدة، 2018، ص 108.

[4] فطيمة قارة، مرجع سابق، ص41.

وفي ظل هذا الوضع التونسي فإن التساؤل المطروح هنا هو كيف تلقت الطرق الصوفية في تونس إعلان الحماية الفرنسة على البلاد ؟ و كيف كانت ردود أفعالها من ذلك ؟

خلال فترة دخول فرنسا إلى تونس كانت الطرق الصوفية أهم تنظيم فيها يتمتع بنفوذ مادي وأدبي هامين وقاعدة شعبية عريضة يمكن توظيفها لو وقع التفكر في ذلك لكونها القوة الوحيدة في الأيالة القادرة على التصدي للقوات الاستعمارية باستنفار السكان وإعلان عن التعبئة العامة وتنظيم الجهود رغم النقص الواضح في الإمكانيات[1] . ظل

2- موقف الطرق الصوفية من الحماية على تونس

لقد تباينت ردود فعل الطرق الصوفية اتجاه الحماية والإدارة الفرنسية بين طرق قاومت المحتل ورفضت وجوده، وطرق أخرى اختارت أسلوب أكثر هدوءا ينم عن قبول التعايش معه.

2-1- أسلوب المهادنة : ويقصد به فئة أولائك الذين ساهموا بطريقة أو بأخرى في تقديم المساعدة للإدارة الفرنسية وتسهيل سيطرتها على التراب التونسي، فمثلا الزاوية القادرية بالكاف ساهمت في تسهيل استيلاء الغزاة الفرنسيين على المدينة، حيث يشير العجيلي التليلي في كتابه حول الاستعمار الفرنسي والطرق الصوفية في تونس إلى أنه في بداية الغزو الفرنسي لتونس بلغ إلى علم الحاكم العام للجزائر تقرير مفاده أن "حالة من التململ بدأت تظهر حول الكاف وأن الأعراب أخذوا يقتنون كمية هامة من البارود استعدادا للجهاد المقدس"، ومن جهة أخرى أنه وقع التخلي نهائيا عن فكرة المقاومة وتَكَوَّنَ وفد لتبليغ ذلك الموقف إلى قائد القوات الفرنسية"[2]، ويرجع الكاتب السبب في ذلك الموقف إلى أن "سيدي قدور" كان وراء فكرة التخلي عن الجهاد مستغلا في ذلك نفوذه المادي والروحي بالمنطقة، كما أنه كان على اتصال وثيق بالعون القنصلي

---

[1] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ... ، مرجع سابق، ص115 .

[2] مرجع نفسه ، ص ص115-116.

الفرنسي[1] "روا" * .

إذن لقد كان تأثير سيدي قدور شيخ الزاوية بالكاف على العامة كبيرا للوقوف دون إراقة الدماء وتسهيل احتلال المدينة، وذلك لحمايته من تهديدات الطريقة الرحمانية له، ويُقال أن زاوية الكاف لم تؤسس إلا لأغراض سياسية وعسكرية[2] وهو ما ذهبت إلى تزكيته المصادر الفرنسية من خلال إشادتها بها والاعتماد عليها، وكأنها سند لها، إذ أن بعض الشيوخ كانوا إما غافلين ساذجين وإما أنانيين طماعين[3]، ولكن يبقى موقف سيدي قدور يمثله هو وزاويته بالكاف ولا يمثل الطريقة القادرية ككل في تونس، رغم ما تحتله زاوية الكاف من مكانة ونفوذ بالبلاد التونسية، ويبقى التساؤل حول عدم وجود أي مقاومة من طرف الطرق الصوفية للدخول الفرنسي، فهل سبب ذلك هو الضعف وعدم القدرة على مواجهة فرنسا أم أن هناك أسباب أخرى؟؟.

يبدو أن مواقف الطريقة القادرية من الحماية والاحتلال تعبر عن مواقف مشايخها أكثر مما تعبر عن وجهة نظر أتباعهم الذين غالبا ما كانوا مستعدين للجهاد ومناهضين لمواقف العديد من المشايخ[4]، الأمر نفسه بالنسبة لمقدم الطريقة السّلامية بالبلاد حيث قام عمران بن عبد السلام الفيتوري مقدم الطريقة السّلامية بنفس الدور عند فرار العربان إلى طرابلس الغرب من الاحتلال الفرنسي للبلاد على إرجاعهم[5] .

كما نجد شخص آخر ارتبط اسمه بالذين نسقوا مع المحتل وهو الشيخ محمد بن شعبان* الذي تمثل دوره في القيام بالترحيب بقدوم القوات الفرنسية إلى تونس وفتح أبواب العاصمة التونسية أمام

---

*روا : عسكري فرنسي، جاسوس قبل الحماية، أصبح الكاتب العام بالحكومة التونسية المحمية، وكانت اتصالاته متبادلة مع شيوخ زاوية الكاف القادرية، أنظر : أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**،ج4، مرجع سابق، ص56.

[1] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** .....، مرجع سابق، ص115.

[2] محمد البهلي النيبال، مرجع سابق، ص323.

[3] أحمد دركوش، مرجع سابق، ص69.

[4] مرجع نفسه، ص69

[5] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** .....، مرجع سابق، ص118.

الغزاة وبرر موقفه بذهابه إلى اعتبار ذلك خطة رسمية، وأنه يتلقى الأوامر من الباي للقيام بذلك[1].

وما تجدر الإشارة إليه أيضا أثناء الحماية الفرنسية لتونس كان موقف الطريقة الشابية مؤيدا للاحتلال الفرنسي حيث يذكر الفرنسيون أنهم وجدوا من أتباع الطريقة الشابية مساعدة أثناء الاحتلال، فقد بذلوا جهودا لاستتباب الأمن بالجريد وجلبوا المناوئين وسلموهم للفرنسيين، وعند وصول الفرنسيين أول مرة للجريد بقيادة الجنرال فيلبار Philebert بقوة وعتاد فرنسي ذعر سكان المدينة وفروا من المنطقة فقام ابن جدو ابن الحاج أحمد شيخ الشابية هناك بإعادتهم إلى ديارهم، وأصبح وسيط مع الجيش الفرنسي لتهدئة الأوضاع فقام المستعمر بتعيينه قايد بيت الشريعة مكافئة له وأعلن ولاءه ومساعداته التي قدمها لفرنسا[2].

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد من الولاء لفرنسا، إذ أن البعض من شيوخ الزوايا قد شجعوا الأهالي على الانخراط في الجندية للمساهمة في الحرب إلى جانب فرنسا مثل الأزهاري بن مصطفى بن عزوز شيخ الزاوية الرحمانية بنفطة وشيخ الزاوية التيجانية ببوعرادة المنوبي** التيجاني الذي شجع ابنه الشريف التيجاني على الانخراط بنفسه في عسكر زواوى الصف الرابع للمساهمة في الجبهة الفرنسية[3]، لعله هنا يكون كالقدوة لأتباعه في تنفيذ الأوامر الفرنسية، كما أوصى القبائل بملازمة الهدوء والامتثال للنفوذ والأوامر الفرنسية لتجنب إراقة دماء غالية عليه من جهة وتسهيل مهمة السلطة المدنية الفرنسية من جهة أخرى[4] .

---

*الشيخ محمد بن شعبان : أحد مشايخ الطريقة القادرية، وإمام جامع باردو سابقا، توفي سنة 1914، أنظر : العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ...، مرجع سابق، ص118 .

[1]مرجع نفسه، ص118

[2] يوسف بن حيدة ، **التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية الطريقة الشابية نموذجا**"،أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2016-2017 ، ص 236.

المنوبي بن الشيخ سيدي صالح العمراني التيجاني الشريف : كان مقدما للطريقة التيجانية بزاويتها في هنشير بوفطيس بجهة بوعرادة المعروفة بزاوية سيدي صالح التيجاني، توفي يوم 1930/08/19، أنظر: العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية ...، مرجع نفسه، ص119.

[3]لطيفة الأخضر الغول ، مرجع سابق، ص103.

[4]العجيلي التليلي، الطرق الصوفية .....، مرجع سابق، ص119.

ومن الأمثلة التي يمكن أن نذكرها هنا أيضا أن الملحق العسكري بتونس لدى المقيم العام كان يتردد على الزاوية التيجانية بباب المنارة كل يوم جمعة ويجلس حول المائدة مع كل الأتباع لتناول الغداء حسب طقوس هذه الطريقة[1]، وهذا يدل على الصداقة القائمة بينهم .

ومن هذه الأمثلة يتبين أن هناك بعض الطرق الصوفية كانت سهلة التشكيل والتوظيف في يد المستعمر الفرنسي[2].

إذن فكل الأمثلة السالفة الذكر تشير إلى أن الموقف الغالب لدى الطرق الصوفية هو قبول الأمر الواقع أولا، ثم الانغماس وممارسة سلوكات مؤيدة للاحتلال ووجوده، وقد قابلت الإدارة الفرنسية ذلك بالتمكين لمشايخ الزوايا الطرقية الموالين لها بالامتيازات الممنوحة لهم تارة ومنحهم سلطات واسعة ونفوذ مطلق تارة أخرى[3].

2-2- أسلوب المقاومة : إن خشية سلطة الاستعمار من قيام الزعامات الطرقية في تونس بمثل ما قامت به مثيلاتها في الجزائر من مقاومات أرهقتها، حتّم عليها أن تأخذ بعين الاعتبار تلك السوابق في سياساتها بالبلاد التونسية، سعيا منها للحيلولة فيها دون ما حدث لها بالجزائر لذلك بادرت إلى الاهتمام بالمسألة الدينية منذ السنوات الأولى لاحتلالها للبلاد، ولقد تجسد ذلك الاهتمام في حرص سلطات الاحتلال على التعرف أكثر على الواقع الديني للبلاد قصد إعطائه حجمه الحقيقي ليتيسر بعد ذلك تحديد السياسة اللازمة له[4].

وعلى الرغم من الاحتلال الفرنسي المبكر لتونس فإن قوات الاستعمار لم تستطع رسم صورة نهائية لموقف الطرق الصوفية من الاحتلال الفرنسي للبلاد التونسية سنة 1881، مما أدى إلى تصنيفها ضمن الأعداء المحتملين، فلأنها تعلم أن هذه الجمعيات الدينية تتحول غالبا إلى

---

[1] لطيفة الأخضر الغول ، مرجع سابق، ص103.

[2] مرجع نفسه ، ص103

[3] سالم لبيض، مرجع سابق، ص151.

[4] مرجع نفسه، ص150.

وكر للثورة ضد المدنس لأرض الإسلام وبالتالي فإن الزاوية لم تعد فقط مكانا لتعليم القرآن بل أصبحت وكرا للثورة، فقد اتسم موقف الاحتلال في البداية بالعداء للطرق الصوفية رغم تباين موقفها بين مؤيد ومعارض[1].

فنجد مثلا أن الطريقة الرحمانية في مدينة الكاف كانت معارضة للحماية الفرنسية وأن شيخها علي بن عيسى كان يريد قتل روي جان برنار Roy .J.B.B* عند حلوله بمدينة الكاف وقد شجع الأهالي على مواجهة القوات الفرنسية[2]، وهذه دعوى لرفض ومقاومة المحتل .

كما أن أحمد بن عبد المالك شيخ الزاوية الرحمانية بأولاد عون قد برهن عن عداوته للاستعمار الفرنسي سنة 1881، كما سجلت محاولة لمقاومة الحماية الفرنسية في أيامها الأولى من قبل معمر الزاير شيخ الزاوية الرحمانية بكدية الحلفاء" بماجر" إذ أنه وقف في وجه الطابور الذي يقوده فورجمول** Forgemol de bostquenard ، لكنه بعد ذلك فر إلى طرابلس، وبعد وفاته خلفه أخوه الأصغر عبد الحفيظ الذي كافح بدوره ضد الاستعمار الفرنسي[3].

أما محمد بن إبراهيم بن عبد الملك أحد رجال زاوية سيدي عبد الملك فقد قاوم انتصاب الحماية الفرنسية وواجه قواتها، ولما انهزم هرب إلى جبل السرج قرب الوسلاتية من ولاية القيروان ومنه إلى طرابلس، وهذا ما يظهر جليا ما قامت به بعض زوايا الطريقة الرحمانية، حيث وقفت في

---

[1] سالم لبيض، مرجع سابق، ص150.

[*] روى جان برنار (Roy .J.B.B) ولد يوم 1845/05/28 شغل عون بإدارة البريد والبرق والهاتف 1884، وبالقنصلية الفرنسية بالكاف، 1871، ثم مراقب مدني مكلف بمهمة نائب بالقنصلية المذكورة 1889، ويعرف لغة وعادات أهل البلاد التونسية وله علاقات وطيدة مع العديد مع العديد من أعيان جهة الكاف خاصة سيدي قدور: أنظر العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ...، مرجع سابق، ص118 .

[2] العجيلي التليلي ، **السلطة الاستعمارية والنخبة الدينية بالبلاد التونسية 1881-1918** ، حوليات الجامعة التونسية، جامعة منوبة، تونس، 1995، ص337.

[**] فوجمول : ولد سنة 1821، أمضى مدة طويلة من مهمته بالجزائر شارك في الحملة على القبائل ، قاد قوات الاحتلال في البلاد التونسية التي غادرها في 1883، أنظر العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ... ، مرجع سابق، ص121.

[3] مرجع نفسه، ص121.

وجه الغزو الفرنسي رافضة لوجوده وللحماية على تونس رغم أنها لم تكن مقاومات كبيرة [1].

فبالرغم من موقف الزاوية القادرية بالكاف الذي كان مؤيدا ومساعدا على عملية الاحتلال فإن موقف الزاوية الرحمانية بنفس المدينة تميز بالرفض والدعوة للمقاومة وصمود بعض المدن والمناطق مثل صفاقس وقابس وأقصى الجنوب التونسي استجابة لتحريض بعض الطرق الصوفية خاصة الطريقة الرحمانية والسنوسية[2].

إذن فهذه المواقف والردود من طرف شيوخ الطريقة الرحمانية إنما تدل على عدم تقبل الوجود الفرنسي وقوانينه وتؤكد أن هناك طرق صوفية في تونس تبنت أسلوب الرفض والوقوف في وجه المحتل ومن أشهر الأمثلة عن المقاومة للمحتل نذكر ثورة الفراشيش .

2-2-1- ثورة الفراشيش بمراقبة تالة-القصرين- :

إن الشخصية الأساسية لهذه الأحداث هو المسمى فضلي عمر بن عثمان ولد بمقاطعة سوق أهراس بالجزائر، من قبيلة أولاد سيدي أعبيد التي يتوزع أفرادها على ناحيتي الحدود التونسية الجزائرية، حيث وصل إلى تونس قبل 3 أشهر من هذه الأحداث واستقر في المرحلة الأولى عند أولاد بوغانم من قيادة تاجروين، ثم مرّ عند الزغالمة، ثم من هناك إلى الفراشيش بالقصرين[3].

خلال الفترة الاستعمارية مثلت الأحداث التي اندلعت بكل من تالة والقصرين في ربيع سنة 1906م، "انتفاضة ربيعية ذات طابع خاص" وذلك قياسا بالانتفاضات المسلحة التي شهدتها البلاد، فقد اندلعت في وسط قبلي ريفي في ظرف اتسم بترسخ الهيمنة الاستعمارية وخمول العمل الوطني الذي كان في طور التحول ولا شك أن الظروف التي اندلعت فيها هذه الانتفاضة قد اتسمت بسوء الظروف المعيشية لقبيلة الفراشيش، التي استولى الاستعمار الزراعي على معظم أراضيها الخصبة محولا أكبر قسم من الأهالي إلى جيش من الفقراء، إذ عمت بينهم المجاعة مما

[1] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ... ، مرجع سابق، ص122.

[2] سالم لبيض، مرجع سابق، ص151.

[3] لطيفة الأخضر الغول، مرجع سابق، ص104.

اضطر السكان إلى أكل الحشائش البرية (مثل التلغودة)، في حين كان المعمرون يعيشون ظروف حسنة على أرض التونسيين مسلطين على الأهالي المعاملات القاسية، مما جعل العلاقات بين الطرفين تتميز بالتوتر الدائم[1]، لكن لماذا اندلعت هذه الأحداث في هذه الفترة وما دور شخصية عمر بن عثمان* فيها ؟.

لا شك أن انفجار هذه الأحداث تزامن مع وجود هذا الولي في أوساط الفراشيش الذين أغدقوا عليه التقديس والإجلال، وقد أخذ هذا التقديس يتحول بالتدريج إلى طاعة كاملة لتوجيهات الولي الذي اتفقت المصادر حول محدودية قدراته العقلية ومعاناته من عديد الأمراض الجسدية والنفسية، كما أنه يعد أحد المعروفين بانتمائه إلى الطريقة الرحمانية[2].

وقد اندلعت أحداث هذه الثورة يوم الجمعة 26 أفريل 1906 بهجوم جَمْعٌ من الفراشيش على المزرعة المعروفة ببرج الشعاني، والتابعة لأحد المعمرين الفرنسيين الذي يدعى سال وهناك قتلوا أمه العجوز وأخاه لامتناعهما عن ذكر الشهادة في حين جرح خادمه، أما سال فقد نجى من الموت بسبب غيابه عن المنطقة، ثم نهبوا بيته ولم يكتفي عمر بن عثمان بذلك بل واصل سيره نحو ضيعة معمر فرنسي يدعى بارتران فقتلوا خادمه الايطالي الجنسية وفلت هو وأخته وثلاثة من الفرنسيين الآخرين من الموت لامتثالهم لأوامر المجموعة بذكر الشهادة كدليل على إسلامهم، ثم تحولت مجموعة من المهاجمين في مرحلة ثانية وعددهم حسب ما جاء في ملف القضية يتراوح بين خمسة وعشرين وثلاثين شخصا إلى منجم عين حمودة الذي يبعد عن مكان الحادث حوالي

---

[1] عدنان المنصر وعميرة علية الصغير، **المقاومة المسلحة في تونس 1881-1939**، سلسلة وثائق ونصوص من تاريخ تونس، ع2، ج1، ط2، تونس، 2005، ص130.

* عمر بن عثمان : ولد بولاية قالمة سنة 1881، وصل إلى فوسانة بجهة القصرين واتخذه أهلها وليا صالحا فقدم إلى الفراشيش فأكرمه كل من المقدم علي بن محمد بن صالح و فرحات بن محمد ابن أحمد من أعيان الفراشيش وكان دخوله إلى هذه القرية ما بين ديسمبر 1905 وجانفي 1906، أنظر: محمد المرزوقي، **دماء على الحدود ثورة 1915**، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ص18 .

[2] فطيمة قارة، مرجع سابق، ص68 .

كيلومتر ونصف يعمل به عدد من العمال وأرغم رئيسهم على النطق بالشهادتين[1].

ولم يكتفي الثائرون بذلك بل قرروا مهاجمة تالة في اليوم الموالي 27 أفريل 1906، حيث توجه عشرات الأشخاص نحو تالة على رأسهم عمر بن عثمان وقصدوا مركز المراقبة المدنية وهناك واجههم رصاص أربعين متطوعا بعث بهم مدير منجم القلعة الجرداء لابورت لنجدة المراقبة المدنية فسقط منهم أثنى عشر قتيلا وجرح عدد آخر وهرب البقية[2].

استطاعت السلطات بعد أيام أن تقدم تسعة وخمسين متهما وجهت لهم تهم مختلفة كالقتل ومحاولته والمشاركة فيه ومسك السلاح واستعماله واستعمال العنف، ومثلوا أمام المحكمة الجنائية بسوسة ثم نقلت القضية من طرف النيابة العامة إلى دائرة الاتهامات بالجزائر وصدرت منهم أحكام مختلفة[3] منها الإعدام والأشغال الشاقة المؤبدة والمؤقتة وأحكام بالسجن تتراوح ما بين عامين إلى 5 أعوام، حيث حُكِمَ على عدة متهمين من بينهم علي بن محمد بن صالح وفرحات بن محمد بن أحمد وصالح بن محمد بن سعد وعمر بن عثمان الذي وحسب ما يرويه السكان أنه مات في السجن قبل تنفيذ حكم الإعدام فيه، ويظهر أن الإعدام لم ينفذ في أي أحد منهم[4].

إذا تمعنا في دور الطرق الصوفية في هذه الأحداث فإننا نجد لتلك الأحداث مبرراتها بالعوامل الظرفية الطبيعية والاقتصادية التي كانت عليها تلك المنطقة سنة 1906م حيث عمل عمر بن عثمان على توسيع الهوة وتوتير الأوضاع لتسهيل انفجارها في وقت لاحق، فهو خلال الستة أشهر التي قضاها في الفراشيش كان معبرا في تصرفاته عن هموم سكان فوسانة شديد الوعي بواقعهم ومشاكلهم، وكان مُحَمِسًا للمناهضين لهم ومروجا بين السكان القول بأن الفرنسيين سيغادرون تلك السنة 1906 ويؤكد أن ساعة الخلاص قد دقت[5].

---

[1] فطيمة قارة، مرجع سابق، ص69 .

[2] محمد المرزوقي، مرجع سابق، ص ص 21-22 .

[3] مرجع نفسه، ص ص 22-23 .

[4] مرجع نفسه ،ص23

[5] فطيمة قارة، مرجع سابق، ص71 .

وبهذا تمكن عمر بن عثمان بعمق معرفته للواقع الذي يتحرك فيه وبنفوذه الروحي على الأهالي من جعل سهل فوسانة يعيش في شهر أفريل سنة 1906 جوا حقيقيا من الجهاد المقدس ضد المحتل لأرضه[1]، فهو صراع وقع بأسلحة لا متساوية سياسيا واجتماعيا وثقافيا[2].

لذا عملت السلطات الفرنسية على إخضاع الأولياء الصالحين لمراقبة شديدة ، وطالبت بمدها بكل المعلومات المتوفرة لديهم عنهم وعن تحركاتهم وتنقلاتهم[3].

2-2-2 المشاركة في مقاومة الشمال

كانت قبائل خمير وسكان الجبال عموما في طليعة حركة المقاومة في شمال البلاد، فما إن سمع نبأ وصول السفن البحرية إلى ميناء طبرقة حتى هب متطوعون من أولاد سعيد والحوامدة وأولاد عمر بقيادة شيوخهم للمقاومة ولمواجهة الأعداء، ولم تستطع قوات الاحتلال من الاستيلاء على المدينة في 26 أفريل 1881، في حين بقيت مجموعات أخرى من خمير لقطع الطريق على قوات المحتل القادمة من الجزائر[4].

وهو ما صرحت به قوات الاحتلال حول استماتة سكان المنطقة ومواصلتهم القتال لساعات عديدة ، تلتها مقاومة في جهة جندوبة بمشاركة قبائل أولاد بوسالم وعمدون والشياحية وكان سهل بوسالم شاهدا على أحداث 30 أفريل في أعنف المعارك، ولم تتمكن السلطات الاستعمارية من القضاء على مقاومة القبائل إلا في بداية شهر جوان، حيث أجبر سكانها على نزع السلاح وتعرضوا للسجن ودفع غرامة حربية قدرها 12000 فرنك[5].

---

[1] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ... ، مرجع سابق، ص161 .

[2] فطيمة قارة، مرجع سابق، ص71 .

[3] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ... مرجع سابق، ص161 .

[4] فطيمة قارة، مرجع سابق، ص78 .

[5] مرجع نفسه، ص79 .

هذه بعض الأحداث عن المقاومات التي حدثت في الشمال حيث نجد قبائل خمير التي تنتمي إلى الطريقة الرحمانية كانت وراء قيام تلك المقاومات خاصة وأن علي بن عيسى و أحمد بن عبد الملك هم صاحبي النفوذ الروحي في تلك المنطقة من المناهضين للوجود الفرنسي في المنطقة، ومن جهة أخرى فإننا نجد أن قبائل أولاد بوسالم ينتمون إلى الطريقة القادرية، في حين تنتمي قبائل العمدون إلى الطريقة الرحمانية[1].

ومن هنا يتضح أن هناك طرق صوفية دعت إلى الجهاد ورفضت الوجود الفرنسي بالبلاد التونسية، وإن كانت مبادراتها متواضعة لكونها لا تملك إمكانيات تمكنها من المواجهة، فالفروقات واضحة والمواجهة غير متكافئة، وغم ذلك فها لا يمنع من البحث عنها وذكرها رغم قلتها .

والواقع أن موقف الطرق الدينية من الاستعمار الفرنسي لم يكن موحدا فهو مختلف من طريقة إلى أخرى، وحتى الطريقة نفسها اختلفت مواقفها من الحضور الفرنسي، حسب البلدان وفي البلد نفسه حسب المراحل التاريخية، فالقادرية التي وقفت مع الأمير عبد القادر الجزائري متزعمة حركة المقاومة العسكرية منذ احتلال الجزائر 1830م، هي ذاتها وقفت بعد نصف قرن مع الميزوني (زاوية الكاف) إلى جانب الاحتلال الفرنسي لتونس سنة 1881م، وبصورة عامة يمكن القول أن الطرق الدينية على اختلافها كانت أقرب إلى روح المقاومة في المرحلة الاستعمارية الأولى، ثم وقع احتواؤها في المرحلة الأخيرة[2] .

ولكن يبقى التساؤل حول أسباب سلبية بعض الطرق الصوفية في موقفها من الحماية والسياسة الاستعمارية الفرنسية، لعل ذلك يعود إلى تجربة الجزائر حيث أن فشل محاولات الطرق الصوفية في الجزائر في التصدي الفعلي للاستعمار الفرنسي بالإضافة إلى الملاحقة التي تعرض إليها مشايخها قد يكون لذلك أثر في مشايخ بعض الطرق الصوفية في البلاد التونسية، إذ أنهم

---

[1] فطيمة قارة، مرجع سابق، ص81 .

[2] عمايرية حفناوي، **المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي ، الطريقة المدانية الأصول والطقوس والدلالات الاجتماعية**، تن، الهادي التيمومي، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1999، ص 588 .

أثروا السلام على أن يلقوا نفس المصير، كما أن دافع الحرص الذي تبناه شيوخ الطرق الصوفية على صيانة المصالح المادية والروحية التي يقتضي الحفاظ عليها العمل على استتاب الأمن والاستقرار لأن اشتعال الحروب والفتن والاضطرابات تتسبب في إتلاف المحاصيل وتفقير الأتباع وبالتالي حرمان الطرق ومشايخها من مواردهم الحياتية[1].

المبحث الثاني : السياسة الاستعمارية الفرنسية والطرق الصوفية

لقد تباينت السياسة الاستعمارية في موقفها اتجاه الطرق الصوفية بين الإغراء تارة والضغط عليها وقمعها تارة أخرى، واتخذت أشكالا كثيرة في ذلك فهي تهدف بإتباع كل أسلوب إلى تحقيق مصالحها، إما بقمعها وإضعافها والقضاء على تأثيرها الاجتماعي وإما بكسب صداقتها ومن ثم توظيفها لخدمتها.

1- سياسة التوظيف والتدجين : اتبعت السلطات الاستعمارية سياسة الاستيعاب والاحتواء اتجاه الطرق الصوفية وقد مرت هذه السياسة بمرحلتين الأولى كان هدفها تحييد هذه المؤسسات واكتساب صداقتها، والثانية كانت ترمي إلى توظيف هذه المؤسسات لخدمة مصالحها بهدف مقاومة الوعي الوطني الناشئ والذي أصبح يهدد بصفة جدية الكيان الاستعماري خاصة في الثلاثينات من القرن 20.

لذا عملت سلطات الاحتلال على تحويل شيوخ الزوايا إلى هيئة من الموظفين La Fonction Narisation تقع تزكيتهم من طرف الإدارة الاستعمارية، وكانت تهدف من وراء ذلك إلى الإخضاع والمحاصرة وفرض التبعية لها[2]، وبذلك تمكنت من كسب مجموعة من الأصدقاء المخلصين (شيوخ الطرق) فشيوخ الطريقة التيجانية قد قبلوا أعداد قليلة من المنتمين

---

[1] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية...**، مرجع سابق، ص ص 149-150.

[2] لطيفة الأخضر الغول، مرجع سابق، ص ص 116-117 .

غير المسلمين من المسيحيين الذين قدموا لرؤساء الطريقة وذلك كأعضاء أحرار وشرفيين[1]. وذلك يؤكد أن هذه الصداقات تشكلت لأهداف واضحة .

ومن مظاهر الاحتواء والتدجين أيضا تعدد الامتيازات والتسهيلات والتشريفات التي تخصصها السلطات الاستعمارية لبعض الطرق ولبعض شيوخها، فمثلا في سنة 1909م قام الوزير "روا" بإعفاء أحفاد سيدي قدور، كما تم سنة 1808م إعفاء نفس الشيخ من الجباية على الحطب والتبن والعشب الموجه إلى زاويته بطلب منه، وتم الموافقة على ذلك، وأعفي أيضا من ضريبة السخرة سنة 1901م، كما تلقى حوالتين من الوزير "روا" إحداها 800 فرنك والأخرى 500 فرنك كإعانة لزاويته[2].

كما أصدرت أيضا قانون بتاريخ 20 جويلية 1896، يعفي شيوخ الطرق من الخدمة العسكرية[3]، وجل هذه الامتيازات التي منحت لشيوخ الطرق ستجعلهم عجينة سهلة التشكيل في يد المحتل خاضعة لقوانينه وأوامره .

وفي المرحلة الثانية من سياسة الاحتواء سعت السلطات الاستعمارية إلى استخدام صداقة شيوخ الطرق الصوفية لتقديم المساعدة والوقوف في وجه العدو الجديد وهو الحركة الوطنية[3]، فكانت فرنسا تقدم تسهيلات إلى شيوخها مثل التكتم على مخالفات المشايخ وعدم فضح محاكماتهم عدليا، ومن الأمثلة على ذلك التدخل لدى محكمة سوسة لإيقاف تتبع الحفناوي ابن عبد الحفيظ شيخ الرحمانية بمغرة المتهم بقضية تهريب ومسك أسلحة، إضافة إلى بعض التسهيلات في تسديد ديونهم، كما حدث مع أحمد قدور شيخ الزاوية القادرية بالكاف الذي كان عليه دين لفائدة جمعية الأوقاف فوقع التدخل عن طريق المراقب المدني بالكاف الذي أبدى استعداده للتسديد بالأقساط[4].

---

[1] لطيفة الأخضر الغول، مرجع سابق، ص 118 .

[2] مرجع نفسه، ص 119.

[3] مرجع نفسه، ص 119.

[4] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية...**، مرجع سابق، ص 95.

وفي بعض الحالات تقوم السلطات الاستعمارية بمنح مبالغ مالية على شكل حوالات لمشايخ الطرق على وجه الإعانة للزاوية حسب ما تدّعي، مثل ما حدث مع شيخ القادرية بزاوية الكاف.

فهذه الأمثلة وأخرى كثيرة تبين كيف استطاعت فرنسا التحكم في شيوخ بعض الطرق وتدجينها، ومن هنا يتضح لنا كيف كانت تخصص الكثير من الامتيازات بتنوع أشكالها لشيوخ الزوايا لدفعهم إلى إعلان الطاعة والولاء لها ومساندتها في تنفيذ خطتها في تونس وتأييدها لتسهيل السيطرة عليها وبسط هيمنتها على المجتمع بأقل مقاومة .

2- إلغاء حق التحصن : يعرف الحرم بحق اللجوء والتحصن بالزاوية لكل من هو في حاجة إلى ذلك وللإفلات من العقاب، حيث في كثير من الأحيان يلتجأ هؤلاء للتحصن بالزوايا فلا يكفيهم مبدأ عدم انتهاك الحرمة الذي يغطيهم داخل الزاوية بل نراهم يتحصلون على رخصة في التحرك أو على ورقة أمان للتمكن من الخروج وقضاء أمورهم بكل طمأنينة، فكانت هذه الصلاحيات التي تتمتع بها الزاوية من أهم الأمور التي أرهقت السلطات الاستعمارية وأرادت القضاء عليها والتخلص منها وسحب هذا الامتياز من شيوخ الطرق الصوفية وقد عملت على ذلك من خلال إصدار قانون 6 فيفري 1884م الذي يلغي الحرمة ويأمر بتقييد كل متحصن بالزاوية وهذا ما سيؤثر معنويا على الطرق وتأثيرها الاجتماعي، وسيسحب جزء هاما من السلطة المعنوية التي كانت تتميز بها الطرق لممارستها داخل المجتمع التونسي[1].

3- تقنين الزيارات : تعد الزيارات من أهم مصادر دخل الطرق الصوفية التونسية، فهي تمثل للفرد التونسي علاقة معنوية تكرس الولاء والانتماء الروحي للطرق وتساهم في التبعية المقدسة للمؤسسات الطرقية[2]، فتلك الزيارات تساهم في جمع الأموال وزيادة المداخيل، فمثلا المجموع

---

[1] لطيفة الأخضر الغول، مرجع سابق، ص 122.

[2] مرجع نفسه .

السنوي من الزيارات وما يتم تقديمه نقدا أو عينا بلغ سنة 1925م حوالي 120.000 فرنك بالنسبة إلى الطريقة القادرية بالبلاد و24.000 فرنك بالنسبة للطريقة التيجانية و56310 فرنك بالنسبة للطريقة العيساوية[1].

لذا عملت السلطات الاستعمارية على حرمان الطرق من ذلك المورد الهام من خلال إصدار أمر حكومي بتاريخ 20 جوان 1911م صادر عن الوزير الأكبر يوسف جعيط يقول فيه بضرورة التحجير على الزيارات[2]، ومنعها إلا بترخيص واستئذان من السلطات الاستعمارية، كان ذلك في المرحلة الأولى، أما في المرحلة الثانية فقد قامت السلطات الاستعمارية بمنع الزيارات نفسها ابتداء من 1913م، مما ألحق أضرارا بالمقومات الاقتصادية للطرق ومشايخها، ورغم رفضهم هذا القرار إلا أن السلطات الاستعمارية أصرت على تطبيق هذا القرار، بل ولم تكتفي بذلك حيث زادت من مراقبة تنقلات المشايخ ولم تسمح لبعضهم بالتنقل إلا عند التزامهم بعدم جمع الزيارات[3].

وبهذا تكون السلطات الاستعمارية قد قضت أو قللت إلى حد كبير من أهم مصدر مادي لمداخيل الطرق، وهي بذلك قد عملت على فك العلاقة الموجودة بين الأتباع والطرق، مما أدى إلى تحجيم العلاقة الروحية التي تربط الشيوخ وأتباعهم كرصيد لسلطتهم وفك العلاقة الموجودة بين الأتباع والطرق والمتمثلة في الزيارات والتي اعتبرتها فرنسا تمثل نظام جبائي مماثل وهذا لا يخدم النظام الجبائي الفرنسي[4].

لذا لم يكن الزجر من السلطات الاستعمارية لتنقلات شيوخ الزوايا دون رخصة بصفة عامة شديدا، إلا أن المراقبة والحصار كانا جديين، لذلك نلاحظ أن المقاومة التي أظهرها شيوخ الطرق

---

[1] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ... ، مرجع سابق، ص 100.

[2] لطيفة الأخضر الغول، مرجع سابق، ص 124.

[3] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ... ، مرجع سابق، ص 100.

[4] فطيمة قارة، مرجع سابق، ص 53.

لهذه الإجراءات إلى منتصف العشرينيات قد اندثرت في السنوات الموالية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على انتصار السياسة الاستعمارية، إضافة إلى التقهقر المتواصل لمكانة الطرق في المجتمع .

4-التدخل في تسمية مشايخ الطرق : عمدت السلطات الاستعمارية إلى إجراء مراقبة دقيقة على مشايخ الطرق الصوفية على عدة مستويات، حيث فرضت إجراءات إدارية بحيث يجب على المترشح أن يوفرها لمشيخة الطريقة، ومن ذلك ملء بطاقة إرشادات تتضمن معلومات شخصية حول المترشح، خاصة من حيث مواقفه السياسية وميولاته، إضافة إلى أخذ رأي العامل والمراقب المدني مع ضرورة خلو ملف المترشح من السوابق العدلية[1] .

وبهذا استطاعت السلطات الاستعمارية الوصول إلى اختيار نوع معين من المشايخ ذوي مكانة اجتماعية ونفوذ على السكان، لتتمكن من توظيفهم لصالحها، وذلك بقبول ترشحاتهم من طرف المراقب المدني مثل: قاسم ابن الطاهر شيخ الطريقة السّلامية بزغوان، وعلي بن المنور شيخ الزاوية القادرية بكوكة وفي نفس الوقت تتمكن السلطات الاستعمارية من إقصاء كل مترشح لا يخدم مصالحهم[2].

إن المتأمل لهذه الإجراءات التي فرضتها السلطات الاستعمارية في اختيار مشايخ الطرق الصوفية تبين مدى اهتمامها منذ دخولها إلى تونس بالسيطرة على كل تفاصيل الطرق الصوفية.

5- ممارسة المراقبة على مشايخ الطرق : تعد تنقلات مشايخ الطرق الصوفية وسيلة للاتصال المباشر لنقل الأخبار وتبادلها بين التونسيين ولإضعاف التركيبة الداخلية والحد من نفوذ شيوخها على أتباعهم عملت السلطات الاستعمارية على تشريع قوانين تحدد الإجراءات اللازمة احترامها

---

[1] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ... ، مرجع سابق، ص ص 85-86 .

[2] مرجع نفسه ،ص86 .

والعمل بها قبل التنقل الذي صار محجرا بدون ترخيص[1]، ومن أهم المناشير التي قيد بها الشيوخ مايلي :

- منشور 09 جانفي 1913 : هو منشور يوضح للشيوخ وتوابعهم الأعمال القانونية التي يلزمهم أتباعها قبل الانتقال من الدوائر المقيمين بها .
- منشور 24 أوت 1921 : جاء منظما لتنقل مشايخ الزوايا من تونس إلى الجزائر والعكس، مع ضرورة إعلام المقيم العام بتلك التنقلات لأخذ القرار اللازم.
- منشور 13 نوفمبر 1934 : نضم ليحتوي تفصيل وتوضيح وأحكام حول المنشور السابق[2].

هذا ولم تكتف السلطات الاستعمارية بهذه الإجراءات والقوانين بل أجبرت شيوخ الطرق على :

- ضبط مسالك التنقل وأماكن الإقامة خلال الرحلة وتحديد العنوان .
- ذكر الأسباب والهدف من التنقل التي يجب أن تكون حقيقية ، فمثلا حاول شيخ الزاوية التيجانية بجرجيس العربي ابن سالم التنقل بدون ترخيص مسبق فسلطت عليه عقوبات رادعة، والشيخ أحمد بن عزوز مقدم الرحمانية بنفطة الذي أجبر على دفع تخطئة بـ 25 ريال لإدارة المال[3].

6- مصادرة الأراضي (الأوقاف الإسلامية) : ويقصد بها عملية الاستيلاء على الأحباس أو الأوقاف الإسلامية فالوقف في الإسلام يعد مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية يجسد قدرة الإنسان على عمل الخير وتضامنه مع أفراد مجتمعه[4]، فقد عمل التونسيون على المساهمة كثيرا

---

[1]وردة طريلى، **نماذج من القمع الاستعماري في تونس خلال فترة الحماية الفرنسية (1881م-1956م)**، مذكرة ماستر، تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، 2018-2019، ص 84.

[2]العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ... ، مرجع سابق، ص89 .

[3]وردة طريلى، مرجع سابق، ص85 .

[4]أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص277.

في ذلك وما يدل على ذلك كثرة الأحباس العامة* تحت إشراف جمعية الأوقاف بالقطر التونسي إضافة إلى الأحباس الخاصة** التي كانت بيد مستحقيها[1] .وتعد عملية الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية وجه من أوجه الضغط على المؤسسات الطرقية، وقد أتى ذلك في إطار سياسة كاملة ترمي إلى ترسيخ الاستعمار الفلاحي[2]، ونظرا لكون المؤسسة الوقفية تتمتع بالاستقلال الذاتي فقد عملت السلطات الفرنسية على السيطرة عليها.

وبأن أرض الأحباس والأوقاف الدينية لها طابع ديني لمنع حلها عن طريق البيع أو أي شكل آخر، ونظرا لما انجر عن التجربة الجزائرية بعد استحواذ المستعمر الفرنسي على أراض الأحباس من عداء مفتوح ضد الاستعمار، فقد لجأت السلطات الاستعمارية في تونس إلى الحيلة والقانون لتسوية هذه القضية دون المس بالمشاعر الدينية للأهالي وذلك من خلال عقد الإنزال الذي هو عملية كراء مؤبد للعقار يصبح المكترى هو المالك الحقيقي والمالك الأصلي مالك صوري[3].

وقد أصدرت السلطات الاستعمارية أمر مؤرخ في 21 أكتوبر 1889 إضافة إلى أمر أخر مؤرخ في 13 نوفمبر 1889 الذي يجبر جمعية الأحباس بوضع 2000 هكتار سنويا من الأراضي الخصبة على ذمة الدولة وهي أراض تابعة للأوقاف العامة والهدف من ذلك توفير ما يكفي من

---

*الأحباس العامة : تطلق عادة عليها لتسمية الأوقاف وهي تلك التي تحبس على مؤسسات ذات صبغة جماعية وخيرية، وقد أصبح هذا النوع بتونس منطوي تحت إدارة خاصة تسمى إدارة الأوقاف انطلاقا من سنة 1874 إلى ما بعد الاستقلال حيث وقع حل الأوقاف، وتعتبر أحباس الزوايا أحباس عامة لا ينتفع بها شيخ الزاوية إلا بصفته ولا يمكن أن ينتقل بذلك لأولاده من بعده بل إلى الشيخ الذي يعوضه على رأس الزاوية ، **أنظر** : لطيفة الأخضر الغول، مرجع سابق، ص127.

الأحباس الخاصة : هي التي تحبس على أشخاص ضمانا لعدم التفريط فيها من طرف الورثة أو تجنبا لمصادرتها من طرف السلطة ويمكن أن تنقل إلى أحباس عامة عند انقراض النسل، **أنظر : لطيفة الأخضر الغول ، مرجع سابق، ص212 .

[1]محمد الصالح مرمول، **قوانين إدارية فرنسية في الأقاليم المغاربية تونس، الجزائر، والمغرب**، تن وتص، محمد بن مصطفى بن الخوجة، ط1، دار بهاء الدين، الجزائر، 2013، ص391.

[2]العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ... ، مرجع سابق، ص ص 85-86.

[3]مرجع نفسه، ص86.

الضمانات لنجاح الاستعمار الفلاحي، ثم في 12 أفريل 1913 صدر الأمر الذي ينص على أن الحائزين على أراض تابعة للأوقاف الخاصة أو العامة والذين يمكنهم أن يثبتوا استقرار أجدادهم على تلك الأراضي بموافقة جمعية الأوقاف أو موافقة المنتفعين و المقدمين، يمكن أن يتحصلوا عليها عن طريق الإنزال[1].

والغاية من هنا ليست التسوية القانونية للمنتفعين من الأهالي بقدر ما هي محاولة للتعرف على الأراضي الموقوفة والمشغولة بالفعل وتسخير الأراضي التي تبدوا شاغرة لفائدة المعمرين[2].

وتؤكد لطيفة الأخضر أن المعطيات الموجودة تدل على خطورة القضية، حيث أن أراضي الأحباس تمثل حسب بعض التقديرات ربع أراض الأيالة، ومن ذلك أيضا أن عقارات أهم الطرق الدينية مع عقارات شيوخها لها قيمة كبرى حسب ما يمثله الجدول بالملحق رقم 5 [3].

وهذا ما جعل البشير صقر* يحتج بصفته رئيس جمعية الأوقاف عن هذه الإجراءات في تقريره للمقيم العام سنة 1903م قائلا "إذا ما تقرر إلغاء الأوقاف الخاصة ، فسيحكم على سكانالأرياف والأهالي بالهجرة أو العبودية وبالتحول إلى عمال يعملون فوق الأرض التي أنبتتهم[4]. وبذلك تمكن المعمرون من السيطرة على مساحات شاسعة من الأراضي الفلاحية الخصبة خاصة باستخدام طرق ملتوية على حساب الأحباس العامة والخاصة، وهذا ما جعل مشايخ زوايا متعددة من المنتفعين من الأحباس الخاصة إلى الخروج في تظاهرات يوم 14 ماي 1920م، وتجمهروا أمام الإقامة العامة، بمشاركة مختلف الطبقات الاجتماعية تعبيرا عن رفضهم لتلك القوانين التي

---

[1] أحمد القصاب، **تاريخ تونس المعاصر 1881-1956**، تر: حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، 1986، ص82.

[2] مرجع نفسه، ص82.

[3] لطيفة الأخضر الغول، مرجع سابق، ص130.

* البشير صقر: من أصل تركي، ولد بتونس سنة 1856 زاول تعليمه بالمدرسة الصادقية، ثم سافر إلى فرنسا لإتمام دراسته هناك بمعهد سان لويس ، ساهم في تأسيس الجمعية الخلدونية التي كان يقوم فيها بدروس التاريخ كما باشر رئاسة جمعية الأوقاف، توفي سنة 1917، **أنظر** : الفاضل بن عاشور ، **تراجم الأعلام**، تونس، الدار التونسية للنشر، 1970، ص ص 197-206.

[4] أحمد القصاب، مرجع سابق، ص82 .

تمس بمصالحهم، فأكد لهم المقيم العام "فلانـــدان Flandin أنه لم يمضي أبدا على أي قانون يستهدف معتقداتهم الدينية"[1].

أما فيما يخص الطرق الصوفية فقد مكنت الأوقاف الطرق من ملكيات عقارية شاسعة بلغت قيمتها سنة 1925 أكثر من 21.759.900 فرنك، ومنها 12.807.900 فرنك قيمة ما تملكـــه

الزوايا، وقيمة هامة منه إلى المشايخ، ولكي تتمكن السلطات الاستعمارية من التخلص من هذا النفوذ والعائد المالي وتمليك هذه المساحات للمعمرين والاستحواذ على أكبر قدر ممكن من أوقافها وأراضيها أصدرت عدة قوانين منها[2] :

- قانون 18 أوت 1885 حول الإجراءات الخاصة بالإنزال* أي الإجازة الأبدية للأراضي.
- قانون 2122 جوان و 21 أكتوبر 1888 خاص بكون إنزال الأحباس العامة والخاصة لا يمكن إجراؤه إلا عن طريق المزاد العلني .

وبهذا استولى المستوطنون الفرنسيون على مساحات شاسعة خصبة من أراضي الأحباس التي وضعت للمزاد العلني[3].

7- التجنيس وطمس الهوية : اعتمدت السلطات الاستعمارية سياسة التجنيس في تونس بهدف تحويل التونسيين عن شخصيتهم وهويتهم الوطنية وتحويلهم بالتدرج من مواطنين تونسيين إلى مواطنين فرنسيين، وقد لقيت هذه السياسة استجابة عند بعض التونسيين بحيث أقبلت فئة منهم على طلب الجنسية الفرنسية والتجنيس الذي يشمل فئات اجتماعية مختلفة من حيث الجنس

---

[1] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ... ، مرجع سابق، ص104 .

* قانون الإنزال : عبارة عن كراء مؤبد بمدخول معين لا يتغير بالإرث وله قوانين ترتيبية خاصة ، ولا يقع إلا بعد الإشهار بالجرائد الرسمية وغيرها العربية والفرنسية، **أنظر** : صالح مرمول، مرجع سابق، ص399.

[2] وردة طريلى، مرجع سابق، ص91 .

[3] العجيلي التليلي، الطرق الصوفية ... ، مرجع سابق، ص103 .

والعمر والوظائف، والذي قابله صمت الحكومة التونسية وعلماء الدين الرسميين الذين لم يوضحوا موقف الدين الإسلامي من التجنيس عكس إخوانهم من عامة الناس والمفكرين ورجال الدين الذين رفضوا الجنسية الفرنسية[1]. كما أن الوطنيين المسلمين أدركوا أن هذا التجنس يسلخهم من دينهم ويطعن في قوميتهم ووطنيتهم، فأحجموا عنه إلا نفر قليل إستهوتهم منافعه العاجلة[2].

إن قوانين التجنيس التي أقرتها السلطات الاستعمارية تعد من أهم وأبرز الأحداث في تاريخ تونس المعاصر، فقد كان لها صدى في أغلب جهات الأيالة، حيث قامت عدة مظاهرات في البلاد رافضة لقوانين التجنيس مثل مظاهرات توزر والقيروان والمكنين والمنستير وحمام الأنف وسوسة وقفصة بالإضافة إلى العاصمة، وهي حوادث زادت في إذكائها فتوى علماء الشرع من المذهبين المالكي والحنفي[3]، ويعود ذلك الرفض إلى جهل المسلمين لمدلول التجنيس، فالفكرة التي كانوا يتصورونها هي أن التجنس هو بمعنى التجرد عن كل شيء يجعلهم مسلمين حيث قيل لهم بأنه بمجرد ما يتجنس شخص ما فهو يكره على التخلي عن حقوقه الشخصية التي أقرتها الشريعة الإسلامية.

فهل يمكن القول أن بعض مشايخ الطرق الصوفية أو أتباعها كانوا ضمن المتجنسين؟ وهل أيدوا قوانين التجنيس أم أنهم عبروا عن رفضهم لها ؟

لقد كانت القوانين الفرنسية واضحة حول شروط التجنيس حيث أن تلك الشروط كانت تتجه بالدرجة الأولى إلى النخبة المثقفة من التونسيين وذلك طبعا لجلب عناصر تساعدها على إنجاح سياسة الاندماج من جهة، وفصل تلك الفئة المثقفة عن مجتمعها وعن النشاط التوعوي الذي يمكن أن تقوم به من جهة أخرى، لذا فهذه الشروط لا تتناسب مع شيوخ الطرق الصوفية بسبب المستوى الثقافي المتدني لمعظم أتباعها ومشايخها[4]، وهذا ما سيجعل عدد المتجنسين ضئيلا بينهم .

---

[1] محمد بوطبي، **التجنيس في تونس بين القبول والمعارضة خلال فترة الحماية 1881-1956**، مجلة أبعاد، ع7، جامعة وهران02، الجزائر، 2018، ص215.

[2] حسين محمد الخضر، **تونس وجامع الزيتونة**، ط1، دار النوادر، سوريا، 2010، ص 177 .

[3] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ... ، مرجع سابق، ص220 .

[4] مرجع نفسه، ص220 .

أما عن موقف الطرق الصوفية من قوانين التجنيس نشير إلى بعض المواقف لهم، حيث أنه كان هناك شخص متجنس من سكان قصيبة المديوني ومن أتباع الطريقة المدنية يدعى عبد القادر مالك رفع دعوة إلى رئيس مركز شرطة المنستير ملخصها أن مجموعة من السكان أخذوا يحرضون الناس على منعه من الدخول للجامع يوم الجمعة، وكان معه شهود ثلاثة وهم شيخ الطريقة المدنية، وإمام الجامع وشيخ القرية مع العلم أن هذا الشخص المتجنس هو من الأتباع المخلصين لشيخ الطريقة المدنية، وهنا نرى أن شيخ الطريقة المدنية لم ينكر التجنس على أحد أتباعه فحسب بل ودافع عنه وأدلى بشهادته لصالحه، وهذا يعد موقف مساند للتجنيس والمتجنسين من طرف شيخ الطريقة المدنية بقصيبة المديوني[1] .

ومن جهة أخرى فبعد قرار السلطات الاستعمارية القاضي بإحداث مقابر للمتجنسين في مختلف الأيالة وقع أن أحمد بوحجر بن عبد الله الولي الذي أسس في مشيخة المسكية زاوية فرعية لزاوية سيدي بوحجر التابعة للطريقة الرحمانية قد منح أرض للمسلمين الفرنسيين مجانا في التاسع من أوت 1933م، وهذه المبادرة إنما تدل على موقفه من التجنس حيث يبدو أنه مؤيد للتجنس ومساعد أيضا للسلطات الاستعمارية على إيجاد حل لتلك المعضلة[2] .

حيث أن هذه المعضلة قد أحدثت مشادات كبيرة بين الأهالي وقوات الاحتلال للحيلولة دون دفن المتجنسين في مقابر المسلمين، وهو ما حدث عند وفاة أبناء أحد المتجنسين بالمنستير وأراد دفنه بالمقبرة العامة، حين هاج التونسيين المسلمين رافضين ذلك وتجمهروا في المقبرة مما استوجب استدعاء السلطات العسكرية التي دخلت في صدام مع التونسيين، مما أدى إلى مقتل شاب تونسي وفرضت حراسة مشددة على المقبرة لمدة تزيد عن الشهر[3].

---

[1] التليلي، العجيلي . **الطرق الصوفية** .... مرجع سابق، ص 221 .

[2] مرجع نفسه ، ص221

[3] الحبيب نويرة، **ذكريات عصفت بي**، د ط ، دار نبراس للنشر، تونس، 1992، ص64 .

ففي ظل هذه الأحداث كان الشيخ أحمد بوحجر– السابق الذكر– يدفن أول مسلم متجنس بالمقبرة التي أوجدها خصيصا لذلك، حيث صلى بنفسه عليه صلاة الجنازة بالجريصة وهذا يوضح لنا كيف أن بعض مشايخ الطرق كانوا مخالفين لأغلب فئات المجتمع التونسي آنذاك في مواقفهم من أحداث التجنيس في البلاد.

لذا فإن هذه المواقف تفسر محدودية وقلة المظاهرات الجهوية من التجنيس بمناطق الشمال والوسط الغربيين بالمقارنة مع الجهات الساحلية، وهي مواقف تتصادم مع التيار العام للأحداث وما اتفقت عليه المجموعة الوطنية وما مات من أجله العديد من الشهداء[1].

من هنا يتضح لنا كيف أن بعض الطرق الصوفية من خلال مشايخها ومواقفهم قد فوتت على نفسها فرصة استغلال تلك الأحداث لكسب واستقطاب فئات شعبية أوسع وهو ما سيؤدي لا محال إلى ضعف سلطتها وتراجع أتباعها خاصة مع بروز الحركة الوطنية آنذاك .

المبحث الثالث : أثر السياسة الاستعمارية الفرنسية على مكانة الطرق الصوفية

إن مختلف السياسات الاستعمارية السابقة الذكر كالتدجين والتوظيف وإلغاء الحرمة ومنع الزيارات ومراقبة المشايخ ومصادرة أراضي الأوقاف وغيرها مما مارسته فرنسا مع الطرق الصوفية كانت تسعى من ورائها إلى القضاء على مكانتها الاجتماعية والاقتصادية من جهة وتوظيفها لخدمة مصالحها وتمرير قوانينها من جهة أخرى .

1– أثرها الاجتماعي : لقد ساهمت الممارسات الاستعمارية مع الطرق الصوفية بطريقة مدروسة مسبقا إلى تهميشها اجتماعيا، حيث حولت شيوخ الزوايا إلى هيئة من الموظفين تقع تزكيتهم من طرف الإدارة الاستعمارية[2]، رغم ما كان لها من نفوذ ومكانة اجتماعية بين أتباعها.

---

[1] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** .... ، مرجع سابق، ص 223 .

[2] لطيفة الأخضر الغول، مرجع سابق، ص116 .

وفي الوقت الذي كان الجميع يرى أن الاستعمار قد ساعد وشجع الطرق الدينية في بسط سيطرتها ونفوذها على المجتمع، كان الواقع ينكر ذلك، حيث كان المحتل يشجعها فقط في حدود مصالحه، ويعمل بخطى سريعة على سحب البساط من تحتها بإتقان وعنف خفي[1] من خلال سياسة خنق الفضاءات الطرقية وقطع شرايين حياتها المعنوية المتجسدة في إلغاء حق الاحتماء بها وبذلك فقدت سلطتها المعنوية التي كانت تميزها داخل المجتمع .

كما أن إلغاء وتحجير الزيارات هو ضرب للعلاقة المعنوية القائمة بين الأتباع والزوايا، فالزيارة هي ولاء روحي بالنسبة للأتباع خاصة تلك التي يتم فيها جمع المال ، وهو ما تسبب في صدامات من طرف شيوخ الزوايا والأتباع ورفضهم الامتثال لتلك القوانين، كانت السلطات الاستعمارية تهدف من خلال هذه السياسات إلى مواصلة تنفيذ خطة تحقق فيها تراجع تدريجي لمكانة الطرق في المجتمع[2].

كما استطاعت السلطات الاستعمارية بعد توظيفها لبعض مشايخ الطرق الصوفية من تسهيل تحقيق عدة أهداف بأرخص الأثمان والتكاليف وفي وقت قياسي، واستطاعت بها توفير الأمن والسيطرة على بعض الأماكن التي كان من الصعب تحقيق ذلك فيها، فأصبحت الطرق الصوفية ومشايخها مطيعة تنقاد لأوامر فرنسا خاصة إذا ما توفرت تلك الامتيازات والمكافآت التي لا تساوي شيئا أمام ما يتم تقديمه من خدمة[3].

ولعل ذلك ما أدى إلى نفور أتباع الطرق من مشايخها لأن سيطرة الاستعمار الفرنسي عليها أصبح واضحا للجميع .

---

[1] لطيفة الأخضر الغول، مرجع سابق، ص121.

[2] مرجع نفسه، ص ص 126-127.

[3] العجيلي التليلي، الطرق الصوفية ... ، مرجع سابق، ص 98 .

2- أثرها الاقتصادي : إن ممارسة فرنسا لسياسة مصادرة أراضي الأحباس والأوقاف الإسلامية بفرض عدة قوانين وإجراءات سبق وتحدثنا عنها ، إنما هو ضرب لمكانة تلك الطرق اقتصاديا، فهي تهدف من وراء ذلك إلى زعزعة نفوذها المادي وإضعافها تدريجيا، لأن السند المالي الذي كانت تتمتع به الطرق الصوفية ومشايخها هو أحد الركائز الأساسية التي يتوقف عليها وجودها واستمراريتها[1] .

فمصادرة أراضي الأحباس ساهم في إضعاف مداخيل الطرق وشيوخها، وفي نفس الوقت مكن المعمرين الفرنسيين من الاستفادة من مساحات عقارية شاسعة من الأراضي الخصبة، وهو ما أدى إلى إضعاف معظم الطرق ماديا و سهل للسلطات الاستعمارية السيطرة عليهم والتحكم فيهم ، فمع مرور الزمن تدهورت ظروفهم الاقتصادية وأصبحوا عاجزين عن توفير حاجياتهم اليومية[2]، فلجئوا إلى الديون التي زادت من خنقهم أكثر من طرف السلطات الاستعمارية .

لقد استطاعت فرنسا ضرب العلاقة المادية القائمة بين شيوخ الزوايا و أتباعهم المتمثلة أساسا في جمع الصدقات التي تمثل قناة و مصدر موازي لجمع الضرائب، لذلك اعتبرتها فرنسا منافسا جبائيا لها وجب التخلص منه[3] .

أما منع الزيارات ومراقبة تنقلات شيوخ الزوايا والتي كانت مصدرا اقتصاديا هاما لتلك الطرق الصوفية، حيث أن تلك الزيارات اليومية التي يقوم بها أتباعها تحمل في طياتها مبالغ مالية هامة لذا فهذه السياسة أدت إلى تفقير وسلخ للطرق الصوفية وضرب لعمود من أعمدتها ألا وهو الجانب الاقتصادي، حيث ضعفت وتلاشت مع كثرة القوانين الفرنسية المتجددة والمتغيرة حسب الحاجة .

---

[1] العجيلي التليلي، الطرق الصوفية ... ، مرجع سابق، ص 99 .

[2] المرجع نفسه، ص ص 104-106 .

[3] لطيفة الأخضر الغول ، مرجع سابق، ص 125 .

هنا يتبين لنا أن السلطات الاستعمارية قد نجحت إلى حد كبير في السيطرة على الطرق الصوفية ومشايخها، ولعل التجربة الجزائرية قد أكسبتها معرفة سابقة لطريقة التعامل معها، فجعلت من شيوخ القبائل أعوانا أقوياء للاستعمار بإمكانه استعمالهم في إخماد ثورات القبائل وإعادة الأمن والاستقرار[1]، الأمر الذي أفقد لشيوخ القبائل هيبتهم ونفوذهم بين أتباعهم وجعل هؤلاء يديرون ظهورهم لهم شيئا فشيئا ليوجهوا أنظارهم ولو بدرجة متوسطة نحو فضاءات أخرى تلبي احتياجاتهم الوطنية أكثر من الطرق الصوفية[2].

خلاصة

منذ اليوم الأول لفرض الحماية الفرنسية على تونس تباينت ردود ومواقف الطرق الصوفية من هذه الحماية، بين طرق عملت على مقاومة المحتل عن طريق المقاومات والانتفاضات رغم قلة الامكانيات وقلة التنظيم وبين طرق اختارت المهادنة والتسابق لكسب صداقته وإيقاف غضب المجتمع التونسي الرافض لهذا المحتل، أما فرنسا فمن خلال تجاربها السابقة مع الجزائر في التعامل مع الطرق الصوفية فقد عملت بكل السبل على القضاء على تلك الطرق و ومكانتها بين أتباعها دون الدخول في دوامة الصراعات معها فمارست سياسة استعمارية مدروسة بعمق لضرب تلك الطرق ونفوذها اجتماعيا واقتصاديا وإفراغها من محتواها الروحي والعمل بمختلف الوسائل والإجراءات على تقهقرها وتهميشها وهو الأمر الذي استطاعت تحقيقه إلى حد كبير .

[1] العجيلي التليلي، **السلطة الاستعمارية والنخبة الدينية** ... ، مرجع سابق، ص 342 .

[2] لطيفة الأخضر الغول ، مرجع سابق، ص 133 .

الفصل الثالث

الطرق الصوفية والقضايا الوطنية

تمهيد :

بعد فرض الحماية الفرنسية على تونس، فُرِضَتْ على الشعب التونسي سياسة استعمارية شملت الأرض والإنسان، ومع مطلع القرن 20، زاد تأثر الشعب التونسي بتلك السياسة الاستعمارية خاصة في الميدان الإجتماعي والإقتصادي، وهو ما أفرز عدة أحداث وقضايا هامة نابعة من أثار تلك السياسة التي تسببت في المعاناة والتهميش والفقر والحرمان، وقد تزامنت مع بداية وعي وطني جديد، من أهمها أحداث الزلاج 1911م وتليها أحداث الترامواي 1912م إضافة إلى أحداث 9 أفريل 1938م.

- فكيف تفاعلت الطرق الصوفية مع هذه الأحداث ؟ وما موقفها من النضال الوطني ؟ وإلى أي مدى تأثر وجودها بفعل مواقفها من مختلف القضايا الوطنية ؟

و للإجابة على هذه التساؤلات قسم الفصل الثالث إلى ثلاث مباحث و هي :

المبحث الأول : الطرق الصوفية وأهم الأحداث الوطنية في تونس .

المبحث الثاني : الطرق الصوفية والنضال الوطني (الحركة الوطنية) .

المبحث الثالث : مصير الطرق الصوفية بعد 1930م .

المبحث الأول : الطرق الصوفية وأهم الأحداث الوطنية في تونس

عملت فرنسا على تنفيذ مشروعها الاستعماري من خلال سياسة استعمارية شملت مختلف المجالات أهمها ما تعلق بفرض الضرائب ومصادرة الأراضي الخصبة، حيث أثر ذلك تأثيرا سلبيا على الحياة الاجتماعية والاقتصادية للشعب التونسي، مما أدى إلى حالة من الفقر وتردي الأوضاع واحتقان شديد في أوساط التونسيين، ساهمت بشكل كبير في نشوب عدة أحداث، فهل كان للطرق الصوفية دورا فيها ؟ .

1- أحداث الجلاز (الزلاج) 07 نوفمبر 1911م : إن الأسباب المباشرة لقيام هذه الأحداث يعود سببها إلى أن بلدية تونس عهدت إلى تسجيل مقبرة الزلاج لتكون ملكا بلديا، والأصل في ذلك كانت المقبرة هنشيرا وهو وقف (حبس) قدمه رجل الدين محمد الزلاج القيرواني لتكون مقبرة للمسلمين، وما زاد من قيمة هذا الوقف إيوائه لمغارة أبي الحسن الشاذلي الصوفي الذي ذاع صيته وعرفت طريقته بالشاذلية منذ القرن التاسع عشر للهجرة[1]

حيث قدمت البلدية طلبا إلى المحكمة العقارية المختلطة بتاريخ 26 سبتمبر 1911م ونشر بالرائد الرسمي في أكتوبر من نفس السنة وتم تعيين يوم 7 نوفمبر 1911م موعدا رسميا للتسجيل مع توجيه دعوة إلى سكان العاصمة بوصفهم أصحاب المقبرة لحضور تلك العملية في اليوم المعلن عنه[1]، إلا أن هذا القرار استفز السكان واعتبروه انتهاكا للحرمات وتدنيسا للمقدسات وهو ما دفع بهم إلى الاحتشاد صبيحة 7 نوفمبر 1911م حول أبواب المقبرة ما بين 2000 إلى 3000 فردا، مما أدى إلى صدامات دامية تلتها قوانين استثنائية صدرت عن الباي في 8 نوفمبر 1911م، تمثلت في إعلان حالة الحصار العسكري على العاصمة وضواحيها وتكليف القيادة العسكرية الفرنسية بالمحافظة على الأمن، ومنع الاجتماعات العامة والخاصة[2].

---

[1]محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحي، **معركة الزلاج 1911**، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس،1974، ص 18.

[2]مرجع نفسه ، ص19.

[2]العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ...، مرجع سابق، ص ص 207-208 .

إضافة إلى قرارات بتعطيل جميع الصحف العربية، كما تم إيقاف 72 متهما صدرت ضدهم أحكاما مختلفة منها أحكاما بالإعدام وأخرى بالإعمال المؤبدة والغرامات المالية وغيرها .

هذا بإيجاز ما جرى في أحداث الزلاج وما يهمنا في دراستنا هو توضيح موقف الطرق الصوفية من هذه الأحداث ؟ وهل كان لها يد في الدعوة إلى ذلك الاحتشاد الشعبي الكبير؟ .

من أهم ما تجدر الإشارة إليه في هذه الأحداث أن مقبرة الزلاج توجد في سفح "جبل النوبة" المعروف بجبل سيدي أبي الحسن[1]، أين توجد المغارة الشاذلية موضع عبادة أبي الحسن الشاذلي، والتي كان أتباع طريقته يزورونها ويعقدون فيها حلقات الذكر والأوراد، مما زاد هذه المقبرة قدسية لدى سكان العاصمة تونس[2]، كما أن ثلاثة أرباع سكان الحاضرة ينتمون إلى الطريقة الشاذلية، كما تحتوي المقبرة على قبور العديد من العلماء والأمراء والأعيان الأمر الذي جعلها أهم مقبرة بالحاضرة[3].

إن كل الأحداث التي سبقت حادثة الزلاج وبعد التحقيقات التي قامت بها فرنسا مع المتهمين تبين أن الذين تجمعوا صبيحة يوم 7 نوفمبر 1911م، قد حضروا ليعبروا عن احتجاجهم على السياسة الاستعمارية التي هم ضحاياها وليعترضوا على تسجيل المقبرة التي لهم أموات بداخلها، إضافة إلى أن الحالة الاجتماعية المتردية كانت تمس أكثر الفئات في المجتمع، وأن الانتماء الطرقي لم يكن له يد في هذه الأحداث، حيث أن المعطيات تشير أنه بعد التحقيق الفرنسي مع المتهمين فإن 3 متهمين فقط من أصل 72 متهما أقروا أنهم ينتمون إلى الطريقة الشاذلية في حين باقي المتهمين لم يتم التعرف أو الكشف عن انتمائهم الطرقي وأن معظمهم من فئة العمال اليوميين و الفلاحين الذين يعيشون أوضاعا رديئة[4] .

---

[1]محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحي، مرجع سابق، ص17.

[2]المرجع نفسه ،ص17.

[3]العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ...، مرجع سابق، ص 208 .

[4]المرجع نفسه، ص ص 210-212 .

كما يمكن الاعتماد على موقف الشريف التيجاني شيخ زاوية بوعرادة حيث أرسل رسالة إلى وزير الحربية الفرنسي أورد فيها قوله "... أثناء أحداث الزلاج وفي الوقت الذي كانت فيه كل البلاد التونسية تقريبا في ثورة كان أبي يأمر أتباعه بالهدوء والخضوع، وعدم المشاركة مع حركة الشباب التونسي في أي تحرك سياسي ..." ولعل هذا يمثل موقفه بحق خاصة مع وجود مواقف مشابهة لهذا التأييد للاستعمار الفرنسي في عديد المناسبات[1] .

هذا باختصار ما يمكن توضيحه فيما يخص أحداث الزلاج ودور الطرق الصوفية فيها حيث نرى أن الحالة الاجتماعية والاقتصادية المتردية للجميع هي من تحرك تلك الجموع لإعلان رفضها للقرارات الفرنسية الجائرة حيث تؤكد تقارير السلطات الاستعمارية أن جل المتظاهرين من الفقراء، ذلك أن الفئات الضعيفة قد تأثرت أكثر من غيرها من الوضع الناجم عن النظام الاستعماري[2]، وليست الطرق الصوفية هي من حرضت على ذلك وهو ما سيظهر جليا في أحداث مقاطعة الترامواي .

2- أحداث مقاطعة الترامواي9 فيفري 1912 : تعد حادثة الترام واقعة أخرى تلت واقعة الزلاج وكانت ذيلا من ذيولها، حيث أن شركة فرنسية كانت هي المستلزمة لسير الترام الكهربائي بمدينة تونس العاصمة، وأغلب عمالها من الايطاليين فعمد هؤلاء العمال بمناسبة حرب طرابلس المتقدة آنذاك إلى إغاظة أبناء الشعب التونسي وأذيتهم بالكلمات البذيئة وإثارة حفائظهم بالسخرية من المجاهدين الليبيين، كما أن السائقين كانوا يتعمدون السرعة في الأحياء الإسلامية لإحداث الرعب والاضطراب في المارين[3]، وفي ظل هذه الظروف دهست عربة ترامواي يقودها إيطالي غلاما تونسيا في باب سعدون[4] المكتظ بالمواطنين يوم 8 فيفري 1920 فمات الغلام في

---

[1]العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية ...**، مرجع سابق، ص 212 .

[2]علي المحجوبي، **الحركة الوطنية التونسية بين الحربين**، منشورات الجامعة التونسية، تونس ، 1986، ص36 .

[3]محمد المرزوقي، مرجع سابق، ص 33 .

[4]عبد العزيز الثعالبي ، **تونس الشهيدة** ، تر وتق، سامي الجندي ، ط1 ، دار القدس، بيروت، 1975، ص 13.

حينه، انتشرت دعاية المقاطعة، ونجحت نجاحا عظيما، وخلت عربات الترام من الركاب عدا قلة من الأوروبيين، فأصبحت الشركة على وشك الإفلاس، فاستنجدت الشركة بالسلطة الفرنسية فتدخلت باللين أولا ثم بالتهديد والوعيد ثم اتفق زعماء الحركة الوطنية مثل علي باش حامبة، حسن قلاتي، أحمد الصافي ومحمد العروي[1] على تقديم مطالب إلى الشركة يتوقف التراجع في المقاطعة على قبولها[2] ومن أهم هذه المطالب :

- التزام شركة التراموای باستخدام الفرنسيين والتونسيين والاقتصار على نسبة من الأجانب يتم تحديدها.
- المساواة في الأجور والمنح والترقية بين جميع موظفي الشركة دون أي تمييز وهو ما كانت ترفضه الإدارة الاستعمارية رفضا قاطعا[3].
- تنظيم مصلحة لمراقبة السرعة بالأحياء العربية[4].
- كتابة كافة العناوين وأسماء المحطات والإرشادات باللغتين العربية والفرنسية .
- تنبيه العمال إلى وجوب احترام الركاب التونسيين.
- طرد السائق الذي داس الغلام وتسبب في الأزمة[5] .

فهل ساهمت الطرق الصوفية ممثلة في مشايخها وأتباعها في حادثة مقاطعة التراموای ؟

للإجابة على ذلك يجب أولا الاستناد إلى أن هناك بعض الإشارات تفيد أن السلطات الاستعمارية عملت على فك المقاطعة عن طريق الاعتماد على عدة وسائل منها : أنها التجأت إلى شيوخ الأضرحة ليركبوا التراموای ويحثوا الناس على الركوب ولكنهم لم يفيدوها في شيء حيث أن الشيخ أحمد جمال الدين الخياري أحد مدرسي جامع الزيتونة ومن أصحاب الطريقة القادرية دفع المال من جيبه لتلاميذة زاويته ليركبوا الترام ولكنهم بعد خروجهم من عنده اشتروا

[1]محمد المرزقي، مرجع سابق، ص 34 .

[2]محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحي، مرجع سابق، ص177.

[3]عبد العزيز الثعالبي، مرجع سابق، ص13.

[4]علي المحجوبي، مرجع سابق، ص37 .

[5]محمد المرزوقي، مرجع سابق، ص 34

بما أخذوه منه بعض الخضر، كما أن أحد مشايخ الطريقة الرحمانية بمنطقة بجاوة بجهة ماطر قد نوه بدوره في تلك المقاطعة، واعتبر دوره من الخدمات الجليلة التي قدمها للاستعمار[1].

فهذه بعض المواقف إن دلت على شيء فإنما هي تدل على انحياز شيوخ بعض الطرق الصوفية إلى جانب السلطات الاستعمارية في هذه الحادثة وتحاول مساعدتها في حل هذه المعضلة .

وهذه المواقف توضح عدم التطابق والانسجام في المواقف بين شيوخ الطرق وبين أتباعهم، وهو ما يظهرهم بمظهر الخارجين عن المجموعة الوطنية، خاصة وأن زعماء الحركة الوطنية قد ساندوا مطالب الأهالي وقفوا إلى جانبهم مما أكسبهم قاعدة شعبية كبيرة بعد هذه الحادثة، في حين غاب شيوخ الطرق عن ذلك، كما يجب الإشارة إلى أن أولئك المشايخ كثيرا ما لا يمثلون إلا أنفسهم فيما يصدر عنهم من مواقف وممارسات .

3- أحداث 09 أفريل 1938 : دعت الشبيبة المدرسية للأستاذ علي البلهوان بالمدرسة الصادقية لإلقاء محاضرة عن نصيب الشباب في الكفاح يوم 12 مارس 1938، ولكن الكاتب العام لدى الحكومة منع تنظيم تلك المحاضرة وألقيت يوم 18 مارس بمقر الحزب الدستوري الجديد بنهج التريبونال، عندها قامت السلطات بإقصاء البلهوان من عمله، وقامت بإيقاف سليمان الرويسي ويوسف الرويسي يوم 4 أفريل 1938 بسبب قيامهم بجولات دعائية وعقدهم لاجتماع[2] بوادي ميليز يوم 6 أفريل وقبضت على "صالح بن يوسف" و "الهادي نويرة" و"محمود

---

[1] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ...، مرجع سابق، ص 216.

[*] علي البلهوان : ولد علي البلهوان في 13 أفريل 1909 بتونس العاصمة، وقد درس بمدرسة خير الدين الابتدائية ومنها إلى المدرسة الصادقية عام 1924، تخرج منها عام 1930، والتحق بجامعة السوربون بباريس وقد برز حينها في جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، برز كقيادي صلب في الحزب الحر الدستوري الجديد وهو زعيم الشباب في أحداث 08 أفريل 1938، **أنظر** : فريق التحرير، الترا تونس، **أبرز قادة مظاهرات 9 أفريل 1938**، تاريخ النشر 2018/04/18، تاريخ الاطلاع 2022/05/30، الساعة 14:01، موقع ultra تونس، https://ultratunisia.ultrasawt.com

[2] علي الزيدي، **الزيتونيون دورهم في الحركة الوطنية التونسية 1904-1954**، د ط، تق، عبد الجليل التميمي، دار نهى، صفاقس، تونس، 2007، ص ص 453-456 .

بورقيبة"، فدعا الحزب الدستوري الجديد إلى تنظيم مظاهرتين الأولى يوم 09 أفريل والثانية في 10 أفريل 1938 للمطالبة بوضع حدا للاعتقالات وإطلاق سراح المناضلين، فخرج التونسيون في حراك سياسي غير عنيف وتجمهروا أمام قصر العدالة الفرنسي أين أُقْتِيدَ علي البلهوان لاستنطاقه حاملين شعارات "تونس للتونسيين" ولابد من برلمان تونسي .

وانطلقت المظاهرات في كامل التراب التونسي يوم 09 أفريل 1938، وكان أبرزهما مظاهرتين انطلقت الأولى من ساحة الحلفاوين "علي البلهوان" والثانية من ساحة معقل الزعيم بقيادة "محمود الماطري"، وفي يوم 10 أفريل وقع الصدام مع الشرطة مما أدى إلى وقوع أحداث دامية ذهب ضحيتها عشرات التونسيين والوطنيين والطلبة الزيتونيين، كما تم اعتقال مجموعة من الوطنيين[1]، وإعلان حالة الحصار في كل المراقبات المدنية بتونس وسوسة وقرمبالية، إضافة إلى تحجير جريدة العمل التونسي واعتقال 7 من أعضاء الديوان السياسي للحزب الجديد ونفيهم بعيدا إلى فرنسا[2]، ثم انطلاق حملة اعتقالات واسعة النطاق في صفوف التونسيين غير المنخرطين في الأحزاب[3].

وفي ما يلي سنعرض موقف الطرق الصوفية من أحداث 9 أفريل 1938، وذلك بالاعتماد على موقف شيخي زاويتين الزاوية التيجانية ببوعرادة والزاوية القادرية بالكاف . حيث أن تلك الأحداث وما تبعها من حملة للاعتقالات العديدة دفعت بعض الأطراف إلى إصدار مواقف ضمنتها تبرؤها من المنتسبين في ذلك، كما أعربت عن ولائها الدائم لسلطة الإحتلال

---

[1]خميس العرفاوي، **القضاء والسياسة في تونس زمن الاستعمار الفرنسي 1881-1956**، ط1، دار صامد للنشر والتوزيع، القيروان، تونس، 2005، ص ص 252-253.

[2]الطاهر المناعي، **المثقفون التونسيون والحضارة الغربية في ما بين الحربين العالميتين 1919 - 1939** ، دار المعارف للطبع والنشر، تونس، 2001، ص65 .

[3]عبد المجيد كريم وآخرون، **موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية 1881-1964**، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، تونس، 2008، ص103 .

ومن أمثلة ذلك نذكر أن أعيان الكاف وعددهم يقارب المائة يتقدمهم سيدي قدور شيخ الزاوية القادرية وكذلك شيخ الزاوية المدنية توجهوا إلى مركز المراقبة المدنية وأعربوا للمراقب المدني عن ولائهم للدولة الحامية[1]، وهو ما أوضحه المراقب المدني نفسه في رسالة بعث بها إلى المقيم العام الفرنسي، حيث يشير إلى أن هذا الوفد ضم أيضا ثلاثة من مشايخ الزوايا وهم سيدي علي بن صالح بن عيسى شيخ الزاوية الرحمانية، وسيدي زلزولي شيخ العيساوية، وسيدي صالح بوليفة شيخ زاوية، هؤلاء الذين أعربوا للحكومة عن الولاء الدائم لها مؤكدين أن السكان التونسيين في الكاف لم يكونوا متضامنين مع المخلين بالأمن الذين تم إيقافهم، مساندين كل الإجراءات الصارمة التي اتخذتها السلطات الاستعمارية ضد مثيري الإضرابات، مؤكدين على أن السكان ملازمين للهدوء، كما تعهدوا للمراقب المدني بأن يكونوا مسؤولين عن أمن المدينة .

فنلاحظ من خلال ما قام به شيخ الزاوية القادرية والمتمثل في مبادرته إلى قيادة الوفد المذكور المكانة التي يتميز بها في الكاف ومدى ولائه للسلطات الاستعمارية وتواطئه معها ضد الوطنيين ونشاطهم ضد هذا المحتل[2].

أما فيما يخص شيخ الزاوية التيجانية ببوعرادة "الشريف محمد التيجاني"* فقد وجه رسالة إلى القائد الأعلى لقوات الاحتلال بتونس بتاريخ 15 أفريل 1938 وعبر فيها له عن ولائه وتعلقه بالدولة الحامية، ومما ورد فيها قوله: " نحن في حاجة إلى أن نعيش في هدوء وأمن في بيوتنا في ظل عدالتكم وتحت رفق حمايتكم، والمسؤولون وحدهم عن تلك الجناية الفضيعة هم مجموعة من الأفراد من بينهم يذكر كل الناس هؤلاء الضعيفي الإدراك Les minus habens الحبيب بورقيبة والمتواطئين معه الطاهر صفر البحري قيقة وغيرهم، أما الدكتور الماطري فأمره

---

[1] العجيلي التليلي، **موقف شيخي التيجانية والقادرية من حوادث 9 أفريل 1938**، حوليات الجامعة التونسية، ع30، 1989، ص119.

[2] مرجع نفسه، ص ص 119-120.

أشنع لأنه يتحرك في الكواليس وليست له الجرأة للظهور .... سيدي يشرفنا أن نرى هؤلاء الأفراد محل عقوبة تكون عبرة لغيرهم فهم سبب مآسي الشعب التونسي"[1]، فهذه الرسالة أو الوثيقة تبين لنا بوضوح تام تنديد شيخ الزاوية التيجانية ببوعرادة بأحداث 1938 وتهويله لها وتحميل مسؤوليتها لمجموعة من الأشخاص مع ذكر أهم الأسماء المتسببة في ذلك مثل محمد بورقيبة، الدكتور الماطري وغيرهما، كما دعا السلطات الاستعمارية إلى فرض عقوبات صارمة ضدهم .

فهذه الرسائل توضح لنا موقف شيخي الزاويتين القادرية والتيجانية من أحداث 09 أفريل 1938، وهو موقف مؤيد لفرنسا ومساندا لها وناقم على الوطنيين .

ولعل تفسير مواقف الزاويتين يعود إلى مصالحهما التي جعلت من مشايخهما حلفاء لفرنسا حفاظا على تلك المصالح التي تقتضي توفر الأمن وانعدام الاضطرابات التي تهدد المصالح والامتيازات ودفاع مشايخ الزاويتين عن مصالحهما هو بالضرورة دفاع عن مصالح الاستعمار.

ومن جهة أخرى فإن ما يفسر موقفهما أيضا هو الخطر الذي أصبح يتهددهما بظهور النشاط الوطني وتأثيره على مصالحهما ومصالح فرنسا في تونس وهذا ما يجعل الوطنيين عدوا مشتركا للطرفين[2].

المبحث الثاني : الطرق الصوفية والنضال الوطني (الحركة الوطنية)

لقد كانت علاقة الطرق الصوفية بالحركة الوطنية تمتاز بالعداوة الواضحة والصدامات المتوالية، وتجلى ذلك في شكل رفض متبادل بين الطرفين أهمها مع ما حدث مع عبد العزيز الثعالبي رائد الفكر الإصلاحي في تونس قبل وبعد تأسيس الحزب الدستوري الحر التونسي .

---

[*] الشريف محمد التيجاني : بن الشيخ المنوبي التيجاني ولد سنة 1892 تقريبا بجهة بوعرادة ، خلف والده سنة 1930 في مشيخة الزاوية، وقد اشتهر بمواقفه المعادية للوطنيين، شارك في الحرب العالمية الأولى إلى جانب فرنسا ثم تم تسريحه بسبب إصابته بنوبة رئوية، أنظر : العجيلي التليلي، **موقف شيخي التيجانية والقادرية من حوادث 9 أفريل 1938** ...، ص121 .

[1] مرجع نفسه، ص121 .

[2] مرجع نفسه، ص129 .

1- الطرق الصوفية وعبد العزيز الثعالبي قبل 1920م : يعد عبد العزيز الثعالبي* أحد الشخصيات الأولى للفكر الإصلاحي في القرن 20 في تونس، وهو معروف لدى الأوساط الدينية بما يملكه من معرفة بالدين والفقه، فهو خريج جامعة الزيتونة، رأس جريدة في سبيل الرشاد 1896 [1] .

ورغم العداء المتواصل من طرف العلماء اتجاه أفكاره، إلا أن جلساته بمقهى التوتة بحي الحلفاوين بالعاصمة مع نخبة من شباب الزيتونة وشباب المدارس العصرية معروفة بتقاسمها لبعض المجلات والصحف الشرقية أبرزها المنار من مصر التي بدأ الناس يلتقطون فيها من كلام الشيخ بعض العبارات الحارة في مسائل الأولياء والكرامات والخلاف بين الصحابة وهذا ما أغضب العلماء وأصحاب الطرق القادرية[2] .

فقد كان الثعالبي يشتكي من تخلف الحياة الفكرية في تونس يائسا من فرصة إصلاح قومه، فكتب في مجلة المنار مارس سنة 1903م قائلا " الذين يعتقدون أن كل كلمة طيبة هرطقة وكل كلمة حادة زندقة وكل خلق جديد كفر وكل سعي إلى الأمام خطوة من خطوات الشيطان ... "*، حيث تم إيقافه في شهر جويلية 1904م، ثم سجن مدة شهرين وقد تم اتهامه باستهزائه بالقرآن الكريم والازدراء بأولياء الله وأن الإمام عبد القادر الجيلاني أحد أبناء الزنا

---

* ولد عبد العزيز الثعالبي يوم 5 سبتمبر/أيلول 1876 في تونس العاصمة لأسرة محافظة من أصول جزائرية. اهتم به جده المجاهد عبد الرحمان الثعالبي الذي قاوم الفرنسيين في الجزائر ثمّ لجأ إلى تونس، التحق بمدرسة باب سويقة الابتدائية بالعاصمة تونس، وأكمل تعليمه في المعهد الديني الملحق بجامع الزيتونة بتونس، وحصل على شهادة التطويع عام 1896 (أعلى شهادة في المعهد)، وتابع دراسته العليا في المدرسة الخلدونية. ترأس سنة 1921 الحزب الدستوري، لكن سلطات الاستعمار قامت بنفيه إلى الخارج، أنظر : موقع الجزيرة، **عبد العزيز الثعالبي**، تاريخ النشر، 2015/03/16، تاريخ الاطلاع، 2022/05/30 الساعة 14:35، موقع الجزيرة، https://www.aljazeera.net/

[1] فطيمة قارة، مرجع سابق، ص 95.

[2] جلول الجريبي، **أسس النهضة عند عبد العزيز الثعالبي**، رسالة دكتوراه دولة في العلوم الإسلامية، جامعة الزيتونة، 1987-1988، ص246.

الدجالين، حيث كانت هذه التهم تقدم إلى المحكمة الشرعية من طرف عمر بن عجرة، حميدة كشك، البشير القماطي، الطاهر التوكايري وبكار بن حسين والطاهر السعدي[1].

وبناء على ذلك مثل عبد العزيز الثعالبي في 16 جويلية أمام المحكمة التي أدانته بتهمة الاعتداء على الدين وإحداث الشغب وحكمت عليه في 1904/07/23 بشهرين سجن .

ويظهر من خلال هذه القضية الصراعات القائمة بين الطرق الصوفية ورجال الفكر الجديد، الفكر الإصلاحي الذين وقفوا ضد كل ما يشكل خطرا على هيبتهم التي كانوا يستغلونها لخدمة مصالحهم .

إن ما تحامله عبد العزيز الثعالبي على الفكر الطرفي وما أظهره من احتقار للاعتقادات الشعبية فهو الوجه الآخر للأفكار الإصلاحية التي تشبع بها الثعالبي وقد كلفته ذلك من الكراهية الشعبية ما جعل السلطة خلال محاكمته تحتاط لذلك وتنقله من السجن إلى المحكمة في ساعة مبكرة جدا من الفجر خوفا من الجماهير الغفيرة التي كانت تنتظره وهي تتأجج حقدا عليه[2].

وفي ما حصل للثعالبي يقول " .... ثم قبض علي عام 1906 ووضعوني في السجن لا بصفه كوني متهما، بل باسم حمايتي من الجمهور الغاضب الذي يريد أن يفتك بي، وكان الغد موعد محاكمتي ومع أن العادة جرت بأن يأخذ المسجون من السجن إلى دار المحكمة في عربة خاصة أعدت لذلك فإنهم أخذوني سيرا على الأقدام أمشيي وإلى جانبي مأمور الضبط يحيط بنا خمسة وعشرون شرطيا شاهدي السلاح، وكان عدد كثير من أهالي البلاد تجمعوا على الطريق يرفعون علما أبيضا ويقولون " أقتلوا الثعالبي وآخرون يأتون بحركات تدل على الاستهجان والاستنكار ..."[3]، وهذا ما يدل على ما تملكه الطرق الدينية جماهيريا في الدفاع عنها .

---

*مقتطفات من الرسالة التي بعث بها عبد العزيز الثعالبي إلى المنار، **أنظر** : كتاب جلول الجريبي، مرجع سابق، ص264

[1]فطيمة قارة، مرجع سابق، ص96 .

[2]لطيفة الأخضر الغول، مرجع سابق، ص138 .

[3]محمد بوطبي، **نضال الشيخ عبد العزيز الثعالبي في الحزب الدستوري ما بين 1920-1934**، مجلة الباحث للعلوم الرياضية والاجتماعية، المجلد 04، ع07، جامعة الجلفة، ص421 .

من خلال ما تم تقديمه سابقا حول هذا الصراع بين عبد العزيز الثعالبي والطرق الصوفية نلاحظ بداية الوعي الجديد في تونس بدأ يظهر رغم قلته، والذي سيشهد تطورا في السنوات اللاحقة بمعارضته للطرق الدينية .

فقد كتب في عدة مقالات في جريدة الليبرال حول الطرق الصوفية مثل المقال الذي تحدث فيه عن الدور السياسي للطرق مثل تحالف التيجانية مع فرنسا لتكسير وعرقلة مقاومة الأمير عبد القادر، وكذلك تسلل فرنسا والايطاليين وانضمامهم إلى الطرق بهدف تسهيل عملية استعمار تونس[1]، وقد جاء المقال بشكل سخري حول سلوك ودور سيدي قدور خلال احتلال البلاد، حيث جاء في المقال سخرية واضحة من سلوك هذه الشخصية الطرقية حيث ذهبت لملاقاة القائد العسكري لوجيرو عند دخوله إلى الكاف قائلا "عند اقترابه من الفرق العسكرية الفرنسية حمل سيدي قدور يده إلى جبينه وتظاهر بالتفكير العميق فأحاط به الحاضرون وسألوه وكلهم حيرة، فقال إني أرى شيخنا الجليل سيدي عبد القادر رضي الله عنه يمسك بمقود الحصان الجنرال الفرنسي وأني أسمعه يأمرني بالرجوع دون مقاومة، لا فائدة من العناد، فشيخنا الكبير جعل من أسلحتنا أسلحة بدون مفعول"، ورغم أن هذا الخبر أوردته الجريدة إلا أن الوثائق تفيد بأن سيدي قدور لم يقابل القائد العسكري لوجيرو لامتناع هذا الأخير عن ذلك [2].

فمن خلال مثل هذه المقالات نلاحظ مؤشر على بداية تغيير موازن القوى بالبلاد لصالح الأفكار الجديدة وذلك بداية من العشرينات من القرن 20، وقد استطاعت هذه الأفكار أن تنظم

[1] فطيمة قارة، مرجع سابق، ص97 .

[2] لطيفة الأخضر الغول، مرجع سابق، ص140

نفسها في صلب هيكل عصري تمثل في تأسيس الحزب الدستوري الحر التونسي منذ مارس 1920م[1]، وأصبح له أعداد هائلة من المنخرطين في سياسته وأفكاره التي اعتمد فيها على الفكر الديني العقلاني الذي يساير التحولات الاجتماعية والسياسية بالبلاد .

وكل ذلك جاء إثارة للسلطات الاستعمارية وتخويفا لها من الخطر الذي أصبح يتهددها وهو أمر أصبح أكثر وضوحا منذ مطلع السنة 1930 خاصة ، ذلك أن هذه الطرق لم تكتفي بالتلميح فقط بل صار بعض مشايخها يكشفون بوضوح الخطر الذي يمثله الوطنيون عليهم وعلى الاستعمار حيث أن شيخ الزاوية التيجانية ببوعرادة وصف الدستوريين بأعداء والده وأعداء الهيمنة الفرنسية على تونس[2] مبينا هدفهم هو إبعاده و القضاء عليه لأنهم يخشون نفوذه .

ولقد قام شيخ الزاوية التيجانية بتقديم إرسال إلى المقيم العام الفرنسي أشار فيها إلى أن "البلاد خربها الدستوريون وأن الدستوريين متواجدين في كل الإدارات ... في الداخلية والعدلية، وحتى المالية، والفلاحة والأمن العمومي وفي الديوان، وضمن أوسع جماهير المساجد، وفي المحكمة المختلطة[3]...إلخ" .

ومن جهة أخرى فقد أشار أحمد قدور شيخ زاوية القادرية بالكاف هو الآخر إلى ما فعله "الدستور" في البلاد، مؤكدا على تواطؤ بعض المسؤولين مع الدستوريين، حيث يقول شيخ الزاوية القادرية "أن انتشار الأفكار الدستورية ضمن السكان المحليين يمثل ضررا على الحكومة".

---

[1] لطيفة الأخضر الغول، مرجع سابق، ص140

[2] العجيلي التليلي، الطرق الصوفية ... ، مرجع سابق، ص 229 .

[3] مرجع نفسه، ص 230 .

إن كل ما صدر عن شيخي الزاوية التيجانية والقادرية يكشف عن تحالفهما مع الاستعمار وإعطائهما الأولوية للخيار المصلحي على حساب الخيار الوطني[1]، كما يكشف لنا الصراع والعداوة التي بينهما وبين الحزب الدستوري الحر التونسي وذلك لرغبة كل منهم في كسب مزيدا من الأتباع لصالحه.

كل ذلك يؤكد إن الطرق الصوفية كانت واضحة في موقفها من الحركة الوطنية، وعدائها مع النخبة الوطنية، لكن يبقى التساؤل مطروحا هل هذا الموقف يعود لمصالح خاصة أم إلى ضغط السلطات الاستعمارية أم إلى أسباب أخرى ؟

2- الصراع بين الطرق الدينية والنخبة الوطنية بعد 1920 : يلاحظ أن الصراع القائم بين النخبة الوطنية أي الحزب الدستوري القديم من جهة والطرق الدينية من جهة أخرى، هو صراع بين الجانب المتحول في المجتمع والجانب الجامد منه، صراع بين الوعي الجديد والذي هو نتاج مجتمع بدأت تتضح فيه قوائم الأمة المنسجمة وبين وعي يعود إلى قرون عديدة ماضية، كرسته الطرق عن طريق تكريس التفكك الاجتماعي والتشتت التنظيمي علاوة على ما يقوم به الاستعمار في تعميق هذا التشتت[2] .

لقد عجزت الطرق الصوفية عن استيعاب التحولات السياسية والاجتماعية والجوهرية التي طرأت على البلاد فكانت تكرس نمطا اجتماعيا قديما وتقليديا في إطار الظروف الجديدة، لذا بدأ تهميش الطرق الصوفية في ظل الوعي الجديد الذي بدأ يظهر في تونس[3].

وذلك بسبب الحزب الدستوري الذي لعب دورا هاما في مكافحة الطرق على جهة أخرى في ميدان الصراع السياسي، لكن لم يخرج هذا الصراع عن الميدان الديني حيث قاومها من منطلق الفكر التحرري للقرآن ويقول أحمد توفيق المدني الذي كان مناضلا نشيطا في صلب

---

[1] العجيلي التليلي ، الطرق الصوفية ....،مرجع سابق ،ص 231

[2] لطيفة الأخضر الغول، مرجع سابق، ص153

[3] مرجع نفسه، ص154

الحزب الدستوري قبل نفيه إلى الجزائر، فيقول في مذكراته : "إن فرنسا كونت حول سلطانها الاستعماري الفضيع، سياجا خالته قويا متينا مؤلفا من شيوخ الطرق الصوفية، ولهم سلطان لا يذكر على الدهماء، تعدهم وتمنيهم وتبذل لهم المرتبات والأموال يتكلمون كلامها ويشيدون بأعمالها ويؤيدون وجودها"[1].

كما يضيف قائلا : "أن الإسلام لا يرضى لكم أن تتفرقوا طرائق قِدَدَا حول طرق صوفية مضلة ظاهرها الرحمة وباطنها من قبلها العذاب، فرقت الشعب وشتت الشمل ومزقت عرى الدين حتى أصبح كل منتسب لطريقة ما وما أكثر الطرق يلعن ويسب ويشتم بل ويخرج من الدين كل المنتسبين للطرق الصوفية الأخرى" وهذه إدانة أخرى لتلك الطرق، حيث يؤكد هنا أحمد توفيق المدني الدور الخطير الذي تلعبه الطرق في عرقلة اكتساب الوعي الموحد لأفراد المجتمع لمواجهة الخطر الاستعماري[2].

بالنظر إلى أهم حلقات المعركة الوطنية ابتداء من العشرينات نلتمس التناقض الكبير بين السلوك السياسي للنخبة الوطنية الجديدة وبين سلوك الطرق الدينية التي انعدم فيها كل وعي بالقضية الوطنية، حيث كانت تتفق في كل مناسبة وراء السياسة الفرنسية، فمثلا خلال رفض الحزب الدستوري التونسي الحر سنة 1922 لإصلاحات المقيم العام لوسيان سان*، لأنها تكريس للهيمنة الاستعمارية، كانت الطرق الصوفية تساند الإصلاحات وتباركها[3]، حيث في شهر نوفمبر من سنة 1922، توجه وفد من الأعيان والتجار وشيوخ الطرق من بينهم سي

---

[1] فطيمة قارة، مرجع سابق، ص98 .

[2] مرجع نفسه، ص98 .

* إصلاحات 1922 : مجموعة إصلاحات قدمها المقيم العام الفرنسي بتونس في جويلية 1922، أهم ما جاء فيها مبدأ التمثيلية المنتخبة للسكان الأصليين في إطار المجالس المحلية جهويا ووطنيا وهي مجلس القيادة ومجلس الجهات والمجلس الكبير، لكن ما عدى المجلس الأول فقط الذي يتكون أساسا من التونسيين... أنظر : لطيفة الأخضر الغول، مرجع سابق، ص 145.

[3] لطيفة الأخضر الغول، مرجع سابق، ص145.

صالح بن شعبان شيخ مشايخ القادرية وسي قاسم الشريف شيخ مشايخ العيساوية وسي مختار الخلصي رئيس مقدمي القادرية إلى منزل المقيم العام وقابلوا زوجته ليقدموا لها عبارات الشكر على انجازاتها الخيرية كما تقابلوا مع لوسيان سان* نفسه[1].

ولقد كان البعض من أصحاب الزوايا يعلنون استنكارهم لتحركات الدستوريين واستحسانهم للإجراءات التي اتخذتها الحكومة ضدهم ما قام به ابن شيخ الزاوية القادرية بالقصور من منطقة الكاف المسمى عبد الرزاق بن الشيخ عبد الرحيم يشهد ولو بصفة متأخرة على التعامل المفرط لعمه (الشيخ السابق لنفس الزاوية) مع الاستعمار فيصرح بأن عمه "بعث برسالة إلى المقيم العام" ديهوتكلوك يؤيده في سياسته ويعلن فيها أنه ضد كل حركة دستورية، هنا يظهر انحياز الطرق الصوفية للسياسة الاستعمارية وعدائها مع النخبة الوطنية .

3- الطرق الصوفية والحركة الوطنية بعد 1930 : لقد كانت سنة 1933 سنة اضطرابات متوالية شملت مختلف الأوساط الطلابية الزيتونية والقادرية مما أدى بالمقيم العام والباي يوم 16 ماي 1933 إلى الإمضاء على أمرين يقضيان بفرض الرقابة الإدارية، وضرب الصحف التونسية الصادرة باللغة العربية إضافة إلى القيام بالحجر على الصحف الوطنية يوم 27 ماي 1933 وإقدام المقيم العام على حل الحزب الحر الدستوري يوم 31 ماي 1933، مما أدى إلى تأزم الوضع وتكثف النشاط الوطني و مقاطعة السلع الفرنسية[2].

وفي 03 سبتمبر 1934 قام المقيم العام بإبعاد سبعة من قادة الحزب الجديد إلى الجنوب التونسي، كما صودرت جريدة العمل ومنعت الاجتماعات، فزادت الاضطرابات في أغلب جهات الوطن .

---

*المقيم العام لوسيان سان : المقيم العام الفرنسي بتونس من 1920-1929 .

[1] لطيفة الأخضر الغول، مرجع سابق، ص145.

[2] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ... ، مرجع سابق، ص234.

رغم هذه الأحداث التي كان بإمكان الطرق الصوفية أن تقف ضد السلطات الاستعمارية، إلا أنها ظلت غير مبالية بالواقع آنذاك مما ساهم في عزلتها خاصة بعدما وقف بعضها مرة أخرى إلى جانب السلطات الاستعمارية وبارك قوانينها التعسفية[1].

ورغم أن المقيم العام الفرنسي أصدر منشور في 10 أكتوبر 1934 يدعو فيه إلى منع الاجتماعات في المساجد والزوايا وتخصيصها للصلاة فقط، فقد أعرب أتباع التيجانية بعين دراهم عن استنكارهم لتصرفات الدستوريين المناهضة لمصالحهم و"أن السلطة الاستعمارية وحدها القادرة على إقرار جو عادي من السلم والاستقرار اللازمين لازدهار البلاد" حسب رأيهم .

كما أن أتباع ومقدموا الطريقة التيجانية بهنشير سيدي الروماني بسوق الخميس قد أعربوا عن ولائهم الدائم لفرنسا ووضعهم لثقتهم المطلقة في المقيم العام الفرنسي وحكومته، وجهودهم الرامية إلى استتاب الأمن ضد محترفي الإخلال بالنظام وذوي الأعمال السيئة "وقد شابه موقفهم مع موقف أتباع نفس الطريقة بمنشار وقصر مزوار– جهة باجة – الذين استنكروا كل ما يقوم به الدستوريين الجدد الذين يستغلون طيبة السكان لأغراضهم الشخصية[2].

المبحث الثالث : مصير الطرق الصوفية بعد 1930 م

إن التحولات الاجتماعية والسياسية التي عرفتها تونس في ثلاثينات القرن العشرين جعلت دور الطرق الصوفية يتراجع خاصة مع بداية نشاط الحركة الوطنية، فبمقارنة بسيطة بين تاريخ الطرق الصوفية خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن العشرين ثم ما تلاها من تحولات يؤكد على بداية فقدان هذه الطرق لمكانتها الأدبية والاجتماعية على أتباعها، فالسياسة الاستعمارية المطبقة مع الطرق الصوفية أدت مع مرور الوقت إلى أفول بريقها وتراجع مصداقيتها لدى

[1] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ... ، مرجع سابق، ص235.

[2] مرجع نفسه، ص ص 235–236 .

أتباعها، وما زادها تراجعا بسبب ظهور قوى اجتماعية وسياسية جديدة تتوافق أهدافها ومطالبها مع مطالب الشعب فما هي الأسباب الرئيسية لهذا الضعف وما هي مظاهره ؟

1-أسباب ضعف الطرق الصوفية

من الأسباب التي أدت إلى ضعف الطرق وتراجع نفوذها وهيبتها بين أتباعها أن هناك أسباب تتعلق بالطرق الصوفي نفسها مثل الصراعات الداخلية التي كانت تحدث فيما بينها من أجل الحصول على عدد أكبر من الأتباع والزيادة في المداخيل مما أدى إلى توتر العلاقات فيما بينها، كما كانت كل طريقة تنكر صحة الطريقة الأخرى، ولم تكن الصراعات بين الطرق فقط، بل كانت داخل الطريقة الواحدة نفسها بين أفراد الأسرة الواحدة[1]، مثل الصراع على منصب شيخ الزاوية.

هذا الأمر الذي تم استغلاله من طرف الإدارة الاستعمارية لضرب الأطراف المتصارعة بعضها البعض مما سيؤدي إلى انقسام هذه الطرق وهذا الانقسام الذي سيؤدي لا محالة إلى ضعفها.

كما أن مواقف بعض الطرق الصوفية ومشايخها من الكثير من الأحداث الوطنية كان مخيب لآمال أتباعها، حيث أن هذه الطرق كانت في أغلب الأحيان مؤيدة لسياسة السلطات الاستعمارية ولم تقف وقفة مشرفة أو تدلي بموقف يليق بمكانتها كمؤسسة دينية هامة في تونس ومن ذلك ما تم تقديمه في المبحث الأول حول مواقفها من الأحداث والقضايا الوطنية كأحداث الزلاج 1911م، وأحداث مقاطعة الترامواي 1912م، وانتفاضة 9 أفريل 1938، هذه الأحداث التي ظهرت فيها الطرق ومشايخها بموقف سلبي لا يتماشى وطموحات أتباعها ولا يخدم المسألة الوطنية التونسية أو يساهم في حلها .

---

[1] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ... ، مرجع سابق ، ص ص 257- 258.

كما أن للسياسة الاستعمارية دور كبير في ضعف الطرق بسبب قوانينها التي كانت تهدف من خلالها إلى التخلص من النفوذ الأدبي والاجتماعي والاقتصادي للطرق ومن بينها ما قامت به من إلغاء للحرمة وحق التحصن بالزوايا لتصبح هي المصدر الوحيد للوساطة بين مختلف أفراد المجتمع ومن هنا تم ضرب الطرق الصوفية ومركزيتها بطريقة مباشرة[1]، وهو الأمر نفسه عندما تمّ تحجير جمع الصدقات والتي تمثل إحدى الشرايين الأساسية للاستقلالية الاقتصادية للطرق، حيث أصبحت هذه الأخيرة مهددة بسلب أراضيها وأحباسها والتي تمثل مصدر لاستقلاليتها، لتجعل منها مؤسسات مساعدة للاستعمار ماثلة لأوامره خاضعة لمصلحته فاقدة لوجودها وكينونتها التاريخية[2].

ومن الأسباب الهامة لاندثار وتراجع الطرق الصوفية انتشار وتزايد التعليم مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وظهور بوادر حركات إصلاحية بالبلاد مما أنتج تحول فكري واجتماعي مختلف عما هو موجود، إضافة إلى التأثير الكبير بالأفكار الإصلاحية التي بدأت في المشرق، وكذلك التأثر بالحضارة الأوروبية خاصة من خلال البعثات الطلابية والمؤسسات التعليمية التي تزايدت في ذلك الوقت مثل المدرسة الصادقية 1875م، والمدرسة الخلدونية 1897م ، حيث ساهمت في بلورة العديد من المفاهيم و الآراء الإصلاحية وهو ما سيساهم في زرع بذور حركة فكرية وإصلاحية لإيجاد وعي سياسي واجتماعي يستطيع تخليص المجتمع من الاستبداد والركود والأفكار والمفاهيم المتحجرة ويحارب البدع والخرافات[3].

2- مظاهر ضعف الطرق الصوفية : من أهم مظاهر ضعف الطرق الصوفية تحويل الزوايا من مقرات دينية تابعة للطرق إلى مقرات تستغل لمهام أخرى مثل توظيف الزوايا في بعض الأحيان لمقرات ومنابر لخدمة ودعاية من طرف الدستوريين سرا[4].

---

[1] لطيفة الأخضر ، مرجع سابق ، ص 177.

[2] مرجع نفسه، ص 178.

[3] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ... ، مرجع سابق ، ص ص 252-253.

[4] لطيفة الأخضر ، مرجع سابق ، ص 167.

ومن الأمثلة على ذلك تحويل استغلال الزاوية القادرية بقفصة سنة 1929 إلى مدرسة للبنات المسلمات تكون تابعة للإدارة العامة للتعليم العالي العمومي والفنون الجميلة، وفي سنة 1936 تم تحويل زاوية سيدي منصور الحجار التابعة للطريقة العيساوية* بسفاقص إلى مدرسة قرآنية عصرية بطلب من محمد الصادق بلحاج عبد السلام الشرفي[1] .

إضافة إلى حادثة أخرى مهمة في هذا المقام وهي تحويل القيام بصلاة الجمعة من الزاوية القادرية بالقصور جهة الكاف إلى مسجد هناك جديد، ورغم رفض شيخ الزاوية محمد العربـــــي لذلك إلا أن الأهالي أصروا على ذلك حيث تم الاتفاق في الأخير إلى أن ينقسم المصلون بين المسجد والزاوية مما يوضح لنا بداية التغيير لموازين القوى على حساب الطرق الصوفية[2] ولعل ذلك إشارة أي بداية تراجعها و اندثارها .

كما أن هناك شهادة هامة للمراقب المدني بقفصة حول الزاوية القادرية لسيدي إبراهيم الشريف بنفطة سنة 1924م يقول "منذ عشر سنوات خلت كانت زاوية نفطة من أهم زوايا الجريد أما اليوم فقد أضاعت الكثير من وزنها" وذلك بسبب ندرة الزيارات لسيدي محمد الكبير بن إبراهيم الشريف[3].

هذه إذن بعض الأمثلة التي إذا ما تمعنا فيها نجدها توضح لنا الوضعية التي آلت إليها الطرق الصوفية وزواياها إذ تبدو حالة التراجع في النفوذ وبداية الاندثار جلية تنبئ بأسوء من ذلك لاحقا .

---

*الطريقة العيساوية : مؤسسها سيدي محمد بن عيسى وهو من مدينة مكناسي من المغرب الأقصى، انتمى في البداية إلى الطريقة الشاذلية وبعد رجوعه من الحج أسس طريقة حملت إسمه، وقد دخلت هذه الطريقة إلى تونس منذ القرن السادس عشر حسب إحصائيات سنة 1925 فهي تملك 144 زاوية في تونس، **أنظر**: لطيفة الأخضر الغول، مرجع سابق ص ص 60-61 .

[1] مرجع نفسه، ص 168.

[2] مرجع نفسه ، ص 169.

[3] لطيفة الأخضر ، مرجع سابق ، ص 169.

ومن مظاهر ضعف الطرق الصوفية أيضا حالة الفقر وتراجع الوضعية الاقتصادية لبعض الطرق الصوفية وشيوخها بسبب السياسة الاستعمارية التي تم ذكرها سابقا المتمثلة في منع الزيارات ومراقبة التنقلات والاستيلاء على الأحباس العامة والخاصة وهو ما أدى بشيوخ بعض الطرق إلى الديون ورهن أملاكهم .

ومن العلامات الأخرى لتراجع الطرق الصوفية هي كثافة النشاط السياسي للحركة الوطنية خاصة للحزب الدستوري الجديد وزيادة أتباعه خاصة مع مواقفه الداعمة للأهالي في الكثير من المناسبات إضافة إلى التحولات الاقتصادية والاجتماعية وزيادة عدد سكان المدن مما أدى إلى زيادة أتباع الأحزاب السياسية على حساب الطرق الصوفية[1].

إن الضعف الذي عرفته الطرق الصوفية بعدة مناطق في تونس مثل ما حدث بالجريد لا يعني نهايتها، وإنما يندرج ضمن تحول اجتماعي في البلاد التونسية منذ أواخر القرن الماضي وخاصة بداية القرن العشرين والذي ستتجلى نتائجه بكل وضوح في مطلع ثلاثينات القرن العشرين تاريخ الضعف الحقيقي والعام للطرق الصوفية في البلاد التونسية على إثر تدعم العمل الوطني، وظهور عدة أحزاب سياسية مكنها من استقطاب الرأي العام المحلي لما تهدف إليه من تحرير للبلاد مقابل ما عُرِفَ به مشايخ الطرق من تعامل مع الاستعمار الأمر الذي سلبهم صفة الوطنية وشرف المشاركة في الحركة التحريرية[2].

ومن المؤشرات الأخرى لضعف الطرق الصوفية تلك الرسالة التي بعث بها المراقب المدني ببن زرت إلى ممثل الإقامة العامة بتونس يصرح فيها بأنه مقتنع أن الذي صرخ "يحيا الدستور" عند مرور القطار الرئاسي بماطر هو المسمى محمد بن صالح الذي ينتمي إلى الزاوية السلامية ويشتغل مدرس بها، فنجد هذا المدرس يتحمس للحزب الدستوري رغم الحرب الذي يشنها هذا الحزب آنذاك ضد الطرقية[3] .

---

[1] العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ... ، مرجع سابق ، ص 246.

[2] العجيلي التليلي، **الوضع الطرقي بالجريد** ... ، مرجع سابق ، ص 338.

[3] لطيفة الأخضر ، مرجع سابق ، ص 173.

كما أن الطريقة الشابية مثلا تراجع نفوذها بسبب موقفها من الاستعمار وإتباعها أسلوب المهادنة بهدف المحافظة على امتيازاتها ، مما أفقدها سندها الشعبي و مشروعها الحضاري والفكري[1]

خلاصة :

من خلال ما تم تقديمه في هذا الفصل، نجد أن الطرق الصوفية بتونس على الرغم من إمكانياتها المادية والبشرية الهامة والتي كانت من الممكن أن تجعل منها طرفا هاما في مساندة القضايا الوطنية التي كانت أولى اهتمامات جل فئات الشعب التونسي، إلا أن مواقفها من هذه القضايا وخاصة بعد ظهور الحركة الوطنية لم تكن واضحة ومباشرة، بل غلبت على معظمها السلبية والوقوف إلى جانب المحتل، وهو ما زاد في نفور أتباعها مما زاد في ضعفها وتراجعها.

[1]يوسف بن حيدة، مرجع سابق، ص 238 .

الخاتمة

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة ، والتي جاءت بعنوان "الطرق الصوفية والمسألة الوطنية في تونس 1881-1956" توصلنا إلى النتائج التالية :

1- عرفت تونس ظهور عدة طرق صوفية منها الأصلية كالتيجانية والقادرية ومنها المتفرعة عنهما مثل المدنية، العيساوية، الشابية، الشاذلية والرحمانية ورغم اختلاف أسمائها إلا أنها تتشابه في مبادئها وأهدافها، فكانت مهمة هذه الطرق هي تحفيظ القران الكريم وتدريس العلوم النقلية وتقديم تكوين صوفي، وقد انتشرت الصوفية في تونس بانتقالها إليها من الخارج خاصة من الجزائر والمغرب الأقصى .

2- تباينت ردود ومواقف الطرق الصوفية ممثلة في شيوخها من الحماية الوطنية فمعظم الطرق فضلت مهادنة السلطات الاستعمارية وكسب ودها والعمل على تهدئة الجموع والجماهير خاصة ما قام به شيوخ الزاوية التيجانية والقادرية، كما توجد طرق صوفية أخرى أعلنت عن رفضها للمحتل و قررت مواجهته رغم امكانياتها المحدودة و ذلك من خلال التحريض على المقاومة المسلحة والانتفاضات ومواجهة المستعمر ومن ذلك الطريقة الرحمانية والطريقة السنوسية، وتجسد ذلك في المشاركة في بعض المقاومات مثل مقاومة الشمال إضافة إلى القيام بانتفاضة الفراشيش بتالة القصرين .

3- عمدت السلطات من جهة أخرى إلى انتهاج سياسة استعمارية مع الطرق الصوفية بهدف إخضاعها والسيطرة عليها في مرحلة أولى وزعزعة مكانتها ونفوذها لدى أتباعها في تونس باعتبارها أهم مؤسسة دينية آنذاك بنفوذ مادي وبشري هام، ثم سعت في مرحلة ثانية إلى توظيفها واستعمالها لخدمة مصالحها .

4- مارست فرنسا سياسة التدجين والتوظيف والاحتواء من خلال إغراء شيوخ الزوايا بالامتيازات والمساعدات والإعفاءات وغيرها وسياسة مصادرة الأراضي الأحباس العامة والخاصة، ومنع الزيارات ومراقبة تنقلات شيوخ الزوايا وإلغاء حق التحصن والتدخل في اختيار

تسمية شيوخ الزوايا وهو ما أثر على مكانتها الاقتصادية والاجتماعية، حيث تراجع تأثيرها ونفوذها وازداد فقرها من خلال القضاء على سندها المادي .

5- عرفت تونس خلال فترة الحماية في مطلع القرن 20 أحداثا وقضايا وطنية هامة خصت كل فئات المجتمع اجتمع فيها الجماهير والوطنيون والمثقفون على رأي واحد، من أهمها أحداث الزلاج 1911م، ومقاطعة الترمواي 1912م، وأحداث أفريل 1938م، إضافة إلى قوانين التجنيس، إلا أن الطرق الصوفية في كل هذه القضايا مساندة ومؤيدة للسلطات الفرنسية، بل وتعمل على إيجاد حلول ترضيها، وتتنافس فيما بينها على كسب ودها .

6- إن ظهور الوعي الوطني السياسي والمتجسد في نشاط الحركة الوطنية من خلال الحزب الدستوري الحر التونسي القديم سنة 1920م، ثم الحزب الدستوري الحر التونسي الجديد سنة 1930م، جعل الطرق الصوفية تتخوف من فقدان أتباعها ونفوذها ومكانتها، وهو ما جعلها تبدي العداوة لها وتحرض السلطات الاستعمارية ضدها، وبالمقابل كان عبد العزيز الثعالبي ينتقد هذه الطرق وأفكارها .

7- لقد كان موقف الطرق الصوفية من المسألة الوطنية بكل حيثياتها يمتاز بالسلبية في أغلب الأحيان، من خلال اختيار المهادنة بدل المقاومة .

8- إن كل الأحداث السابقة الذكر التي تضمنتها هذه الدراسة ساهمت بشكل كبير في التأثير على مصير الطرق الصوفية، حيث أدت إلى تراجع نفوذها الاجتماعي والاقتصادي وبالتالي إضمحلالها.

9- ما يمكن استخلاصه من هذه الدراسة أن مختلف المواقف النابعة عن الطرق الصوفية مع السلطات الاستعمارية سواء كانت المهادنة أو المقاومة، هي حقيقة كما أسلفنا تعبر عن مواقف شخصية لمشايخ أو مقدمي زوايا، ولا تعبر بالضرورة عن مواقف الطرق أو أتباعها .

المَلَاحِقُ

الملحق رقم 1 : الخريطة الجغرافية للمدن التونسية

المرجع : عبد الكريم عزيز، **نضال شعب أبي تونس 1881-1956**، د ط، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001، ص 21 .

الملحق رقم 2 : مراكز إشعاع الطريقة القادرية بتونس

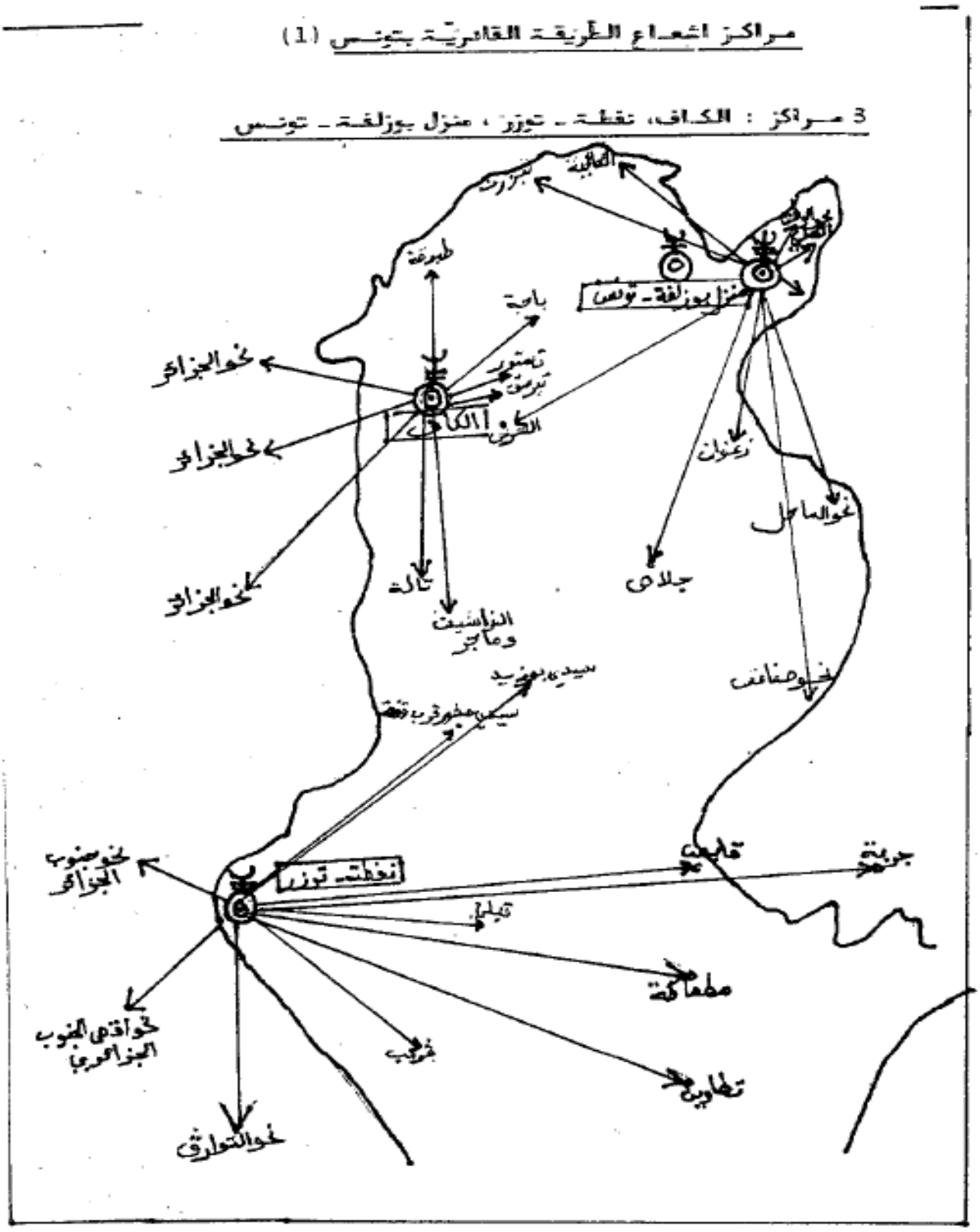

المرجع : لطيفة الأخضر الغول، مرجع سابق، ص 70 .

الملحق رقم 3 : جدول يبين توزيع أتباع الطريقة القادرية

سنة 1925

المراقبة	عدد الزوايا	العدد الجملي للأتباع
بنزرت	6	663
تونس	38	1 821
زغوان	2	172
قرنبالية	14	1 154
طبرقة	1	6.001
سوق الإربعاء	-	1.012
تبرسق	1	26 001
باجة	2	5000
الكاف	4	5.911
سوسة	11	484
مكثر	-	729
القيروان	2	12 508
تالة	7	42.036
صفاقس	5	120
قفصة	2	5000
توزر	3	1 593
قابس	4	408
جربة	1	61
مطماطة	4	74
مدنين	1	983
تطاوين	1	4 505
قبلّي	-	1 435
المجموع	**109**	**117.681**

المرجع : العجيلي السيلي، **الشرق** **الشرقي** ... مرجع سابق، ص 40 .

الملحق رقم 4 : جدول محوصل لمختلف الموارد السنوية

للطرق الصوفية في البلاد التونسية سنة 1925

TABLEAU RECAPITULATIF

des

RESSOURCES DES CONFRERIES RELIGIEUSES MUSULMANES DE TUNISIE

-:-:-:-:-:-:-:-:-

(d'après les renseignements officiels fournis en 1924-25 par les Contrôles Civils et les Bureaux Militaires des Affaires Indigènes)

NB. Ces renseignements sont incomplets; les données exactes pour toutes, font défaut dans d'autres régions des données précises n'ont pu être données que sous réserve.

Ce tableau ne peut donc être consulté que pour information relative

-:-:-:-

Colonne 1	Colonne 2	Colonne 3	Colonne 4	Colonne 5	Biens immobiliers de quelques chaikhs (les plus importants) de confréries
Désignation des confréries	Biens immobiliers : capital entier évalué à	Biens immobiliers : revenus annuels de ce capital	Montant annuel des aumônes et quêtes estimatives	Totaux des revenus annuels (colonnes 3 et 4)	capital entier évalué à / revenus annuels de ce capital
	estimation en francs		estimation en francs		
KADRIA	2.000.000.-	44.000.-	120.000.-	164.000.-	2.000.000.- / 120.000
RAHMANIA	3.675.000.-	93.000.-	97.000.-	190.000.-	2.550.000.- / 80.000
AISSAOUIA	840.000.-	16.800.-	56.310.-	73.110.-	1.200.000.- / 36.000
TIDJANIA	1.191.500.-	23.830.-	24.000.-	47.830.-	1.702.000.- / 51.060
BOULAKIA	556.400.-	39.686.-	62.445.-	102.071.-	..... / .....
BOU ALIA	380.000.-	7.600.-	24.570.-	32.170.-	..... / .....
MEDRIA	907.000.-	50.450.-	11.855.-	62.305.-	..... / .....
SIDI AYED	1.300.000.-	26.000.-	10.000.-	36.000.-	..... / .....
ALAOUIA	.....	XXXXXXX	20.080.-	20.080.-	..... / .....
AISAOUIA	70.000.-	3.400.-	9.570.-	12.970.-	..... / .....
GHADLIA	455.000.-	9.100.-	31.870.-	40.970.-	..... / .....
AZZOUZIA	1.000.000.-	50.000.-	6.400.-	56.400.-	..... / .....
TEBESSA	100.000.-	2.000.-	4.830.-	6.830.-	..500.000.- / 15.000
TAIBIA	120.000.-	2.400.-	4.840.-	6.840.-	..... / .....
MADANIA	.....	XXXXXXX	5.000.-	5.000.-	..... / .....
MASJINIA	13.000.-	260.-	2.710.-	2.970.-	..... / .....
KERRAINIA	.....	.....	3.640.-	3.640.-	..... / .....
SENOUSSIA	.....	.....	.....	.....	..... / .....
HAFNAOUIA	.....	.....	.....	.....	..... / .....
totaux	12.807.900.-	368.466.-	493.740.-	862.206.-	8.452.000.- / 288.000

Valeurs approximatives des biens immobiliers des Grands : 12.807.900.- francs

Revenus annuels de ces biens : 368.466.-francs
Montant annuel des aumônes etc 493.740.- d°

Soit au total ressources annuelles 862.206.- francs

Fortunes des chaikhs les plus importants : 8.952.000.- d°
Revenus annuels de ces biens : 288.000.- d°

المرجع : العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ...، مرجع سابق، ص 275 .

الملحق رقم 5 : جدول يبين الأحباس العامة والخاصة

لبعض الطرق الصوفية سنة 1925

الطريقة	عقارات الزوايا تقدير رأس مالها بحساب الفرنك	عقارات شيوخ الطريقة وتقدير رأس مالها بحساب الفرنك
القادريّة	2.000,000	3.000,000
الرّحمانيّة	3.875,000	2.550,000
العيساويّة	840,000	1.200,000
التيجانيّة	1.191,500	1.702,000
المجموع.....	7.906,500	8.452,000

المرجع : لطيفة الأخضر الغول، مرجع سابق، ص 130 .

الملحق رقم 6 : معاهدة باردو

معاهدة باردو أو «قصر السعيد»

«إنّ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو باي تونس – لما كان من غرضهما أن يمنعا إلى الأبد حدوث قلاقل كالتي حصلت أخيرا على حدود الدولتين بسواحل المملكة التونسية وأن يحكما علاقات ودادهما القديم وروابط حسن الجوار – قد اتفقتا على عقد معاهدة من شأنها تحقيق مصالح كلا الجانبين الساميين المتعاقدين. وبناء على ذلك فإنّ فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية قد عيّن العماد بريار نائبا مفوضا من طرفه فاتفق جنابه مع سموّ الباي المعظم على البنود الآتية :

البند الأول : إنّ معاهدة الصلح والمودة والتجارة وجميع المعاهدات الأخرى الموجودة الآن بين الجمهورية الفرنسية وسمو باي تونس قد وقع تأكيدها وتجديدها.

البند الثاني : لأجل تسهيل القيام بالإجراءات التي يتحتّم على دولة الجمهورية الفرنسية اتّخاذها للوصول للغرض الذي يقصده الجانبان العاليان المتعاقدان فقد رضي سمو باي تونس بأن تحتلّ القوات الفرنسية العسكرية المراكز التي تراها صالحة لاستتباب النظام والأمن بالحدود والسواحل، ويزول هذا الاحتلال عندما تتفّق السلطتان الحربيّتان الفرنسية والتونسية–، وتقرّران معا بأن الإدارة المحليّة قد أصبحت قادرة على المحافظة على استتباب الأمن العام.

البند الثالث : تتعهد دولة الجمهورية الفرنسية ببذل مساعدتها المستمرة لسمو الباي وحمايته من كلّ خطر يمكن أن يهدّد ذاته أو عائلته أو يعبث بأمن مملكته.

البند الرابع : تضمن الدولة الفرنسية تنفيذ جميع المعاهدات المعقودة بين السلطات التونسية ومختلف الدول الأوروبية.

البند الخامس : يمثل الدولة الفرنسية لدى سمو الباي وزير مقيم عام تكون وظيفته السهر على تنفيذ هذه المعاهدة ويكون هو الواسطة بين الدولة الفرنسية وبين السلطات التونسية في جميع القضايا التي تهمّ الجانبين.

البند السادس : يكلف الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون لفرنسا في البلاد الأجنبية بحماية رعايا المملكة التونسيّة ومصالحها. وفي مقابل ذلك يلتزم سمو الباي بأن لا يعقد أي عقد ذي صبغة دوليّة من دون إعلام الدولة الفرنسية بذلك والحصول على موافقتها مقدّما.

البند السابع : تحتفظ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو الباي لنفسها بحقّ الاتفاق على وضع نظام مالي بالمملكة التونسيّة من شأنه الوفاء بواجبات الدين العام وضمان حقوق دائني المملكة.

البند الثامن : تفرض غرامة حربيّة على القبائل العاصية بالحدود والسّواحل وتحدّد قيمة هذه الغرامة وطرق جبايتها باتفّاق يعقد فيما بعد وتكون حكومة الباي هي المسؤولة على تنفيذ هذا الاتفاق.

البند التاسع : لأجل صيانة ممتلكات الجمهورية الفرنسية بالقطر الجزائري من تهريب الأسلحة والذخائر فإن دولة سمو الباي تتعهّد بأن تمنع قطعا إدخال السلاح والذخائر الحربيّة الأخرى بالمملكة التونسية.

البند العاشر : يقع عرض هذه المعاهدة على دولة الجمهورية الفرنسية للمصادقة عليها وتسلّم وثيقة التصديق عليها بعد ذلك لسمو باي تونس في أقرب وقت ممكن.

وكتب بالقصر السعيد في 12 ماي 1881

الإمضاء : محمد الصادق باي- العماد «بريار»

المرجع : خليفة شاطر وآخرون، مرجع سابق، ص 21 .

الملحق رقم 7 : حوالة بريدية بمبلغ 800 فرنك موجهة

من روا إلى سيدي قدور

حوالة بريدية بمبلغ 800 فرنك موجّهة
من روا الى سيدي قدّور

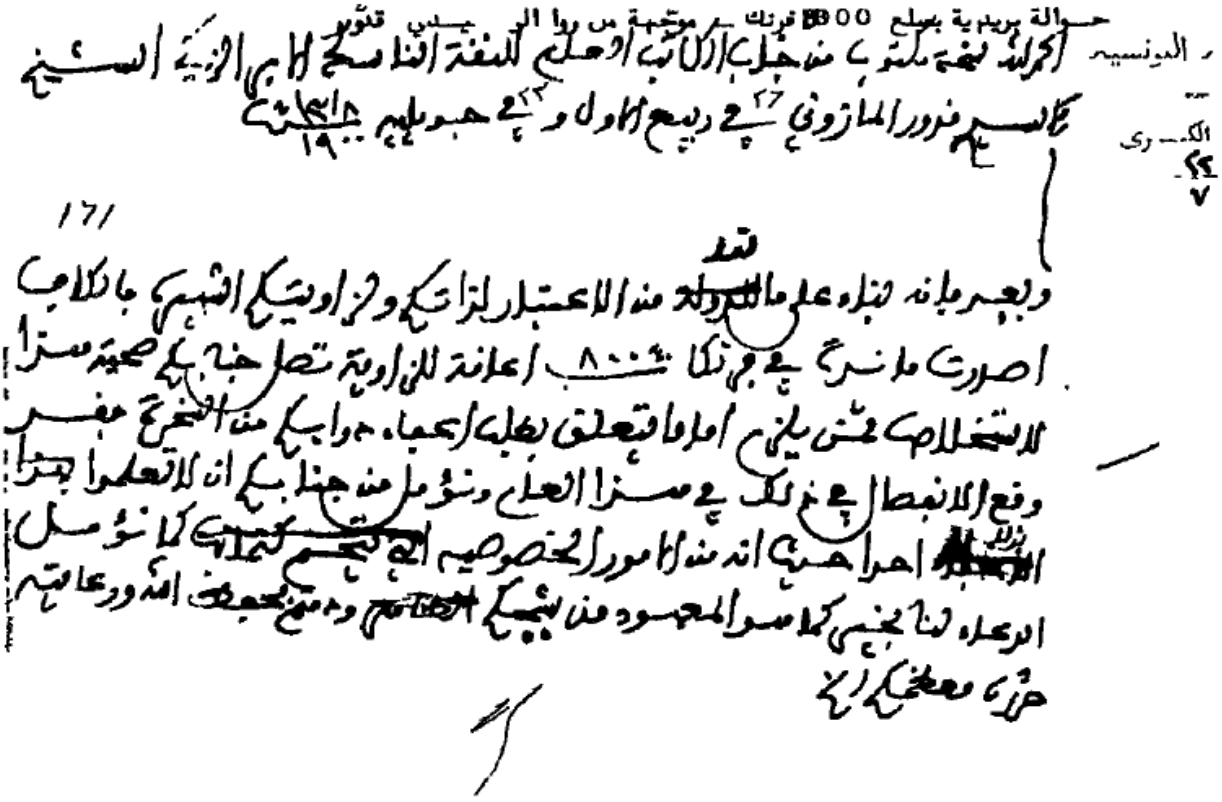

المرجع : العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ...، مرجع سابق، ص 277 .

الملحق رقم 8 : رسالة الأزهاري بن مصطفى بن عزوز – شيخ الرحمانية – إلى الوزير الأكبر ، يعدّد له فيها الخدمات التي قدّمها إلى الاستعمار الفرنسي

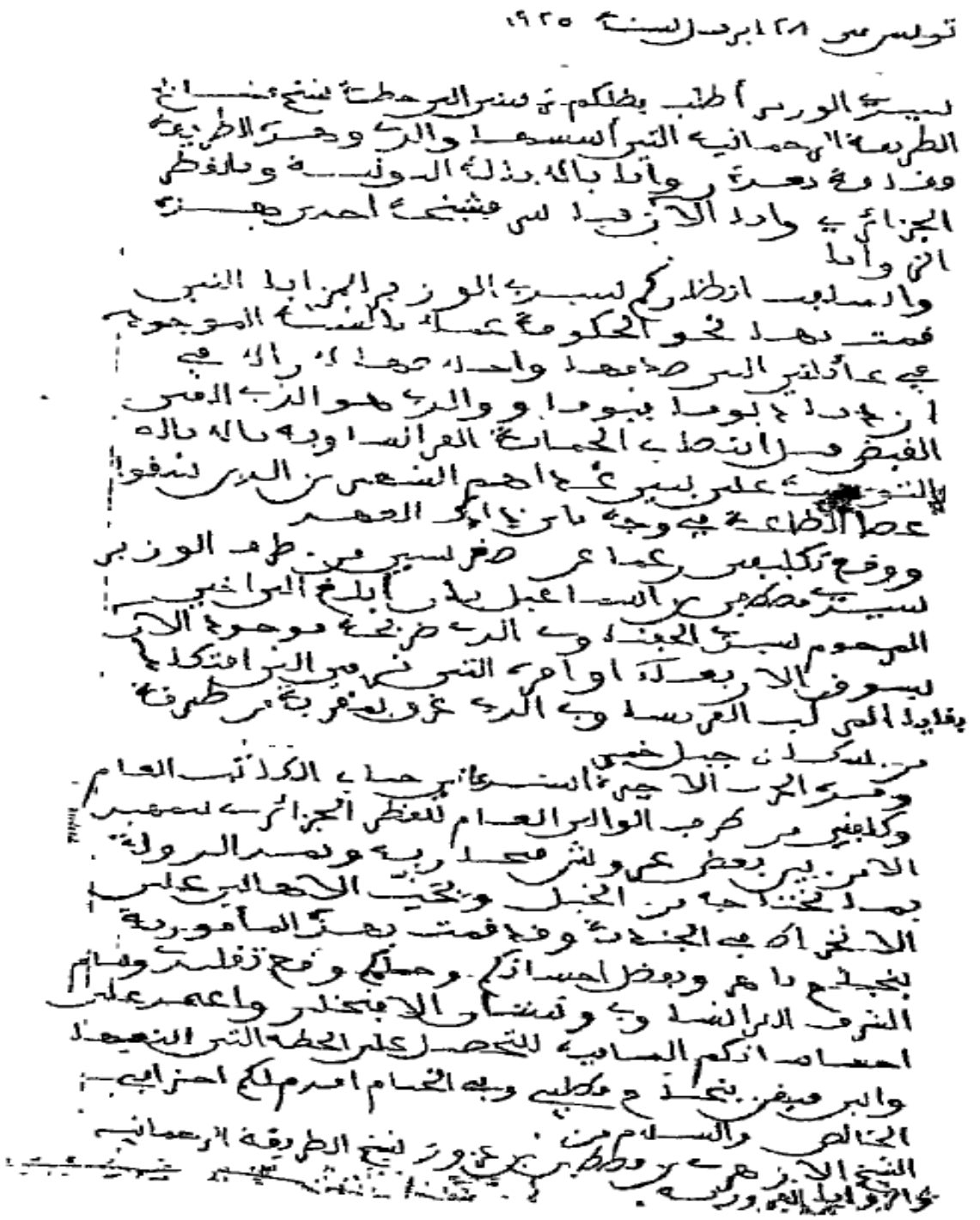

المرجع : العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية** ...، مرجع سابق، ص 281 .

قائمة المصادر و المراجع

❖ **القرآن الكريم .**

1- المصادر :

- ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، ط2 ، دار صادر، بيروت، 2005 .
- الثعالبي، عبد العزيز ، **تونس الشهيدة** ،تر وتق، سامي الجندي ، ط1 ، دار القدس ، بيروت ،1975 .
- حفناوي، عمايرية ، **المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، الطريقة المدانية الأصول والطقوس والدلالات الاجتماعية**، تن، الهادي التيمومي، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1999 .
- محمد الخضر، حسين، **تونس وجامع الزيتونة**، ط1، دار النوادر، سوريا، 2010 .
- نويرة، الحبيب ، **ذكريات عصفت بي**، د ط، دار نبراس للنشر، تونس، 1992 .

2- المراجع :

- الكتب :

- التليلي، العجيلي، **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)**، مج2، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1992 .
- الزيدي، علي، **الزيتونيون دورهم في الحركة الوطنية التونسية 1904-1954**، د ط، تق، عبد الجليل التميمي، دار نهى، صفاقس، تونس، 2007 .
- الشاطر، خليفة وآخرون، **تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال**، ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005.
- الشريف، محمد الهادي، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تر، محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993 .
- العرفاوي، خميس، **القضاء والسياسة في تونس زمن الاستعمار الفرنسي 1881-1956**، ط1، دار صامد للنشر والتوزيع، القيروان، تونس، 2005 .

- القصاب، أحمد، **تاريخ تونس المعاصر 1881-1956**، تر: حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986 .

- المحجوبي، علي، **الحركة الوطنية التونسية بين الحربين**، منشورات الجامعة التونسية، 1986 .

- المحجوبي، علي، **انتصاب الحماية الفرنسية على تونس**، د ط ، دار سراس للنشر، تونس، 1886 .

- المرزوقي، محمد، **دماء على الحدود ثورة 1915**، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس .

- المناعي، الطاهر، **المثقفون التونسيون والحضارة الغربية في ما بين الحربين العالميتين 1919-1939** ، دار المعارف للطبع والنشر، تونس، 2001 .

- النيال، محمد اليهلي، **الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي** ، دار النجاح ، تونس 1965.

- برهان زري، **التصوف في تاريخ الفكر الإسلامي** ، ط1، 2016 .

- بن دجين السهلي، عبد الله، **الطرق الصوفية نشأتها وعائدها وآثارها**، ط1، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، 2005 .

- بن عبد الوهاب أحمد، محمد ، **القبيلة والزاوية في تونس ، دراسة سيسيو أنثروبولوجية لفرقة العكارمة بقفصة** ، ط1، المركز الديمقراطي العربي ، ألمانيا ، 2021 ، ص72.

- بوكاري، أحمد، **الإحياء والتجديد الصوفي في المغرب 1790-1912 – التيجانية والشاذلية والمختارية والقادرية نموذجا**، ج2، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2006 .

- حداد، ميشال وعيد، عاطف ، **قصة وتاريخ الحضارات العربية**، د ط .

- سعد الله ، أبو القاسم ، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 .

- سعد الله، أبو القاسم ، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 .

– عبد الرزاق إبراهيم، عبد الله، **أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية**، المطبعة الفنية، الجزائر، 1990 .

– علي أبو شامي، علي، **التصوف والطرق الصوفية في العصر العثماني المتأخر دراسة في وجود الطرق وانتشارها ونفوذها الديني والاجتماعي والسياسي** ، ط1 ، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 2017 .

– عبد الكريم عزيز، **نضال شعب أبي تونس 1881–1956**، د ط، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001 .

– كريم، عبد المجيد وآخرون، **موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية 1881–1964**، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، تونس، 2008 .

– محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحي، **معركة الزلاج 1911**، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس،1974، ص19.

– مرمول، محمد الصالح، **قوانين إدارية فرنسية في الأقاليم المغاربية تونس، الجزائر، والمغرب**، تن وتص، محمد بن مصطفى بن الخوجة، ط1، دار بهاء الدين، الجزائر، 2013 .

– مكحلي، محمد ، **ثورات رجال الزوايا والطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني 1827–1907م**، دار أفاق كوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015 .

– مؤيد العقبي، صلاح، **الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002 .

– مؤيد العقبي، صلاح، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البرق، بيروت، 2002 .

- الرسائل والأطروحات الجامعية :

* الدكتوراه :

- الأخضر الغول، لطيفة، **الإسلام الطرقي والتحولات السياسية والاجتماعية بتونس في العهد الاستعماري 1881-1934** ، شهادة تعمق في البحث، الجامعة التونسية، 1989-1990 .

- الجريبي، جلول ، **أسس النهضة عند عبد العزيز الثعالبي**، رسالة دكتوراه دولة في العلوم الإسلامية، جامعة الزيتونة، تونس، 1987-1988 .

- بلعربي، نور الدين، **الطرق الصوفية وأثرها في العلاقات الجزائرية المغربية 1800-1870**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة بوزريعة الجزائر، 2017-2018.

- بن حيدة، يوسف ، **التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية الطريقة الشابية نموذجا**"، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2016-2017 .

- بوغديري، كمال، **الطرق الصوفية في الجزائر الطريقة التيجانية أنموذجا**، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة سطيف ، 2014-2015 .

- بونابي، الطاهر ، **الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14و15 الميلاديين**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر ،2008-2009 .

- زروقي، عبد الله، **الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية بمنطقة توات دراسة تاريخية وأدبية " نماذج شعرية من ديوان سيدي عبد الكريم بن محمد البلبالي 1288 هـ-1960م**"، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2016-2017 .

- شيخ، لعرج، **موقف الطريقة التيجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين**، رسالة دكتوراه، تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2016-2017 .

*** الماجستير :**

- بن تيشة، أحمد، **الصلات الروحية بين الطرق الصوفية في بلاد المغرب أثناء العهد العثماني (الجزائر وتونس أنموذجا)** ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2014-2015 .

- دركوش، أحمد، **مواقف الطرق الصوفية من الاستعمار في الجزائر وتونس (1830-1914) القادرية والتيجانية نموذجا** ، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر 2، 2010-2011 .

- قارة، فطيمة، **موقف الطرق الصوفية التونسية من الحماية الفرنسية 1881-1939 (الطريقة القادرية والتيجانية)** ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2011-2012 .

- مسعودي، زهرة، **الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا**، مذكرة ماجستير، جامعة أدرار، 2009-2010 .

*** الماستر :**

- طريلى، وردة، **نماذج من القمع الاستعماري في تونس خلال فترة الحماية الفرنسية (1881م-1956م)**، مذكرة ماستر تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، 2018-2019 .

- المجلات و الدوريات :

- التليلي، العجيلي، **موقف شيخي التيجانية والقادرية من حوادث 9 أفريل 1938**، حوليات الجامعة التونسية، ع30، 1989 .

- التليلي، العجيلي، **الوضع الطرقي بالجريد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر**، المجلة التاريخية المغاربية، ع75-76، زغوان، 1994 .

- التليلي، العجيلي، **السلطة الاستعمارية والنخبة الدينية بالبلاد التونسية 1881-1918** ، حوليات الجامعة التونسية، جامعة منوبة، تونس، 1995 .

- العماري الطيب، الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر ، **التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي**، دراسة أنثروبولوجية ، مجلة الباحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة ورقلة، ع15، 2014 .

- المنصر، عدنان وعلية الصغير، عميرة، **المقاومة المسلحة في تونس 1881-1939**، سلسلة وثائق ونصوص من تاريخ تونس، ع2، ج1، ط2، تونس، 2005 .

- بوطبي، محمد، **التجنيس في تونس بين القبول والمعارضة خلال فترة الحماية 1881-1956**، مجلة أبعاد، ع7، جامعة وهران02، الجزائر، 2018 .

- بوطبي، محمد، **نضال الشيخ عبد العزيز الثعالبي في الحزب الدستوري ما بين 1920-1934**، مجلة الباحث للعلوم الرياضية والاجتماعية، المجلد 04، ع07، جامعة الجلفة .

- شرويك، محمد الأمين، **انتقال التصوف إلى بلاد المغرب الإسلامي**، مجلة أفاق فكرية، ع6، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017 .

- عصامي، سكينة، **الطريقة القادرية بالجريد التونسي من النشأة إلى الاضمحلال (183-1954)**، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية .

- لبيض، سالم، **الإسلام الطرقي في المغرب العربي بين الاضمحلال والتجدد مثال البلاد التونسية**، مجلة روافد، ع6، جامعة منوبة، تونس، 2001 .

- المعاجم والقواميس والموسوعات :

- المعجم الوسيط، ط4، ، **مكتبة الشروق الدولية** ، مصر، 2004 .

- الملتقيات :

- شترة، خير الدين، **الصلات الروحية بين الطرق الصوفية في المغرب العربي (الجزائر وتونس أنموذج)**، الملتقى الدولي الحادي عشر بعنوان التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، 9-11 نوفمبر2008 ، جامعة أدرار .

- مقلاتي، عبد الله، **الطرق الصوفية في الجزائر أمام جدلية فاعلية حضورها الاجتماعي والسياسي، الموقف من الاحتلال الفرنسي نموذجا**، الملتقى الدولي الحادي عشر" التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، أدرار، 2008 .

- المواقع الالكترونية :

- فريق التحرير، التراتونس، **أبرز قادة مظاهرات 9 أفريل 1938**،تاريخ النشر 2018/04/18، تاريخ الاطلاع 2022/05/30، الساعة 14:01، موقع ultra تونس، https://ultratunisia.ultrasawt.com

- موقع الجزيرة، **عبد العزيز الثعالبي**، تاريخ النشر، 2015/03/16، تاريخ الاطلاع، 2022/05/30، 14:32، موقع الجزيرة، https://www.aljazeera.net/

الفِهرِس

فهرس المحتويات

شكر وعرفان	
الإهداء	
قائمة المختصرات.....	
مقدمة	أ-هـ
الفصل الأول : التصوف والطرق الصوفية في تونس	
تمهيد	2
المبحث الأول : مفهوم التصوف ، الطريقة ، الزاوية	3
1- مفهوم التصوف.....	3
1-1 التصوف لغة.....	3
1-2 التصوف اصطلاحا.....	3
2- مفهوم الطريقة	4
2-1 الطريقة لغة.....	4
2-2 الطريقة اصطلاحا.....	5
3- مفهوم الزاوية	6
3-1 الزاوية لغة.....	6
3-2 الزاوية اصطلاحا.....	7
المبحث الثاني : انتشار التصوف في المغرب الإسلامي	9-7
المبحث الثالث : نشأة الطرق الصوفية في تونس	9
1- الطرق الأصلية	9
1-1 الطريقة القادرية	12-9
1-2 الطريقة التيجانية	14-12
2- الطرق الفرعية	14
2-1 الطريقة الشاذلية	14
2-2 الطريقة المدنية	15-14
2-3 الطريقة الرحمانية	16-15

فهرس المحتويات

2-4 الطريقة العيساوية	16
2-5 الطريقة الشابية	16
2-6 الطريقة السنوسية	17
2-7 الطريقة السّلامية	17
المبحث الرابع : خصائص و دعائم الطرق الصوفية	17
1- خصائص الطرق الصوفية	19-17
2- دعائم الطرق الصوفية	19
2-1 الدعائم البشرية للطرق الصوفية	19
2-2 الدعائم المادية للطرق الصوفية	21-20
المبحث الخامس : الدور الاجتماعي للطرق الصوفية	23-22
خلاصة	23
الفصل الثاني : السياسة الاستعمارية و أثرها على مكانة الطرق الصوفية	
تمهيد	25
المبحث الأول : الطرق الصوفية بين المهادنة و المقاومة	26
1- فرض الحماية على تونس	28-26
2- موقف الطرق الصوفية من الحماية على تونس	28
2-1 أسلوب المهادنة	31-28
2-2 أسلوب المقاومة	33-31
2-2-1 ثورة الفراشيش بمراقبة تالة – القصرين	36-33
2-2-2 مقاومة الشمال	38-36
المبحث الثاني : السياسة الاستعمارية الفرنسية والطرق الصوفية	38
1- سياسة التوظيف والتدجين.....	40-38
2- إلغاء حق التحصن (الحرمة)	40
3- تقنين الزيارات	42-40
4- التدخل في تسمية مشايخ الطرق	42

فهرس المحتويات

5- ممارسة المراقبة على مشايخ الطرق	43-42
6- مصادرة الأراضي (الأوقاف الإسلامية)	46-43
7- التجنيس	49-46
المبحث الثالث : أثر السياسة الاستعمارية الفرنسية على مكانة الطرق الصوفية	49
1- أثرها الاجتماعي	50-49
2- أثرها الاقتصادي	52-51
خلاصة	52
الفصل الثالث : الطرق الصوفية والقضايا الوطنية	
تمهيد	54
المبحث الأول : الطرق الصوفية وأهم الأحداث الوطنية في تونس	55
1- أحداث الجلاز (الزلاج) 07 نوفمبر 1911م	57-54
2- أحداث مقاطعة الترامواي 1912م.....	59-57
3- أحداث 09 أفريل 1938 م	62-59
المبحث الثاني : الطرق الصوفية والنضال الوطني (الحركة الوطنية)	62
1- الطرق الصوفية وعبد العزيز الثعالبي قبل 1920م	67-63
2- الصراع بين الطرق الدينية والنخبة الوطنية بعد 1920م	69-67
3- الطرق الصوفية والحركة الوطنية بعد 1930م	70-69
المبحث الثالث : مصير الطرق الصوفية بعد 1930م	70
1- أسباب ضعف الطرق الصوفية	72-71
2- مظاهر ضعف الطرق الصوفية	75-72
خلاصة	75
الخاتمة	78-77
الملاحق	87-80
قائمة المصادر والمراجع	95-89
الفهرس	99-97

الملخـــص

ملخص الدراسة

من خلال هذه الدراسة الموسومة " بالطرق الصوفية والمسألة الوطنية بتونس خلال الفترة الممتدة من 1881 إلى 1956م" ، توصلنا إلى أن هناك طرق صوفية وصلت إلى تونس من المشرق والمغرب الإسلامي وأخرى كانت تونسية المنشأ، ومن أشهر تلك الطرق نجد الطريقة القادرية، التيجانية، الشاذلية، الشابية، الرحمانية، السنوسية، المدنية والسلامية وغيرها . وبعد فرض الحماية الفرنسية على البلاد اختلفت مواقف تلك الطرق من الوجود الفرنسي من طريقة لأخرى وحتى داخل الطريقة الواحدة فاختارت بعض الطرق أسلوب المهادنة في حين عملت أخرى على المقاومة . وهو ما جعل السلطات الفرنسية تنتهج سياسة استعمارية معها، وذلك إما لكسب صداقتها واحتوائها أو للقضاء عليها وعلى نفوذها الاقتصادي والاجتماعي، مما أدى إلى تراجع مكانتها بين أتباعها، أما مواقف الطرق الصوفية من القضايا الوطنية كانت في أغلبها سلبية ولم تدعم المسألة الوطنية وهو ما اثر على مصيرها بعد 1930م .

الكلمات المفتاحية: تونس، الطرق الصوفية، السياسة الفرنسية، المسألة الوطنية، القضايا الوطنية.

Summary of the Study

Through this study entitled "The Sufi ways and the National matter in Tunisia during the period from 1881 to 1956 AD". We concluded that there were Sufi ways that reached Tunisia from the Islamic East and Maghreb, and others were of Tunisian origin.The most famous of these are the Qadiriyah, Tijaniyah, Shadhili, Shabiyah, Rahmaniyah, Senussi, Madinah and Salamiyah orders, and others. After imposing the French protection on the country, the positions of those ways differed from the French presence from one method to another, even within the same way, some ways chose the method of appeasement, while others worked on the resistance. This made the French authorities pursue a colonial policy with them, either to win their friendship and contain them or to eliminate them and their economic and social influence. This led to the decline her position among her followers. As for the positions of the Sufi ways on national issues, they were mostly negative and did not support the national matter This affected her fate after the 1930 AD.

Keywords : Tunisia, Sufi ways, French politics, the national matter , national issues .